المشرق

ترقّي التواصل بسرعة التراسل

لجناب الاديب ميشال افندي الياس ساحه

خُلق الانسان ألوفًا محبًّا لبني جنسهِ لا يستغني عنهم في اشغالهِ وحاجاتهِ. وانّما كانت عيشة الأُلفة قريبة الاسباب سهلة الموارد لمّا كان البشر قليلين تضمّهم بلاد واحدة ويجمع كلمتهم سيّد هو رأسهم وعضدهم

ثمَّ انَّ بني آدم ما لبثوا ان نموا بعد حينٍ وتزايد عددهم حتى اضطرَّهم الامر الى ان يضربوا في البلاد ويسكنوا اقطارًا قاصية وجهات نازحة ثم توفّرت اسباب العمران على قدر نموّ الشعوب وحسن تدبير ملوكها وعقول اصحابها واحوال البلاد التي حلّوا في ربوعها وكثرت حاجات الانسان المادّية والادبيّة فكان لا يرى بُدًّا من سدّها فلا يمكنهُ ذلك الّا بمساعدة اخوانهِ ممَّن نزحت بهم الدار وشطَّ بينهم المزار. فكان ذلك داعيًا ليجد البشر طرقًا للتواصل ووسائل للتراسل تروج بها اشغالهم وتنتظم احوالهم

وهذه اسباب الالفة والتواصل لم تزل منذ الاعصار الغابرة من اهمّ عوامل الترقّي وقد زاد خطرها في الاجيال الاخيرة وعليهِ قد عُني اصحاب البحث والتنقيب بتحسين طرائقها وايجاد اختراعات جديدة لتيسير فوائدها حتى بلغت مبلغًا كاد ينفي المسافات

وها نحن نتتبّع تاريخ التراسل البشري ليرى القرّاء بنظرة واحدة وفي صفحات قليلة ايَّ شأوٍ ادركهُ المرء بعقلهِ وكيف توصّل الى ان يجمع شتات الشعوب ويوفّر بينهم

اسباب الوداد والألفة . وزيادةً بالايضاح نذكر اوّلًا التراسل البرّيّ ثم التراسل المائي ثم التراسل الهوائي ونفرد من بعد ذلك فصلًا للتراسل الكهربائي

التراسل البرّيّ

١ السعاة والبريد

اوّل ما فطن اليهِ عقل البشر اتخاذ الرُّسل لينقلوا من أسرة الى أخرى ومن بلدٍ الى آخر الامور التي ارادوا تبليغها فكان السُّعاة ينقلون الاخبار امَّا شفاهًا قبل شيوع الكتابة وامَّا خطًّا بعد ذلك. ثم قُسم السُّعاة قسمين قسم منهم مشاة وقسم خيَّالة

فكان المشاة يعتادون المشي منذ نعومة اظفارهم فيقطعون المسافات البعيدة عدوًا وقد اشتهر بذلك الصينيون ثم المشاة المصريون وكان منهم من يجاري الخيل ركضًا. وقد اتَّخذ العرب السعاة لنقل رسائلهم فكان عُداتهم ينهبون الارض نهبًا بقوَّة عدوهم وسرعة انتقالهم. وكان قدماء السعاة يحملون الرسائل في خرائط من جلد يعلقونها في اكتافهم فاذا وصلوا بلدةً نادوا القوم. باعلى صوتهم او دقُّوا النفير تنبيهًا لاهلها على ورود البريد

على انَّ السعاة مع سرعة عَدْوهم لا يبلغون في الغالب ما تبلغهُ الخيل. وعليهِ فقد استعاض الناس بالرُّسل الخيَّالة لنقل اخبارهم فاتَّخذوا لذلك قومًا من الفرسان يحسنون ركوب الخيل وجعلوا لهم مراكز يبدلون فيها جيادهم فلا يزالون ينتقلون من مكان الى آخر بخفَّة غريبة وذلك هو اصل البريد المعروف في ايَّامنا بالبوسطة وهي كلمة لاتينيَّة معناها المركز او المقام. ويُقصد من البريد خدمة الحكومة رسميًّا لنقل الرسائل المتداولة بين الناس

وقد ذهب ديودورس المؤرخ انَّ البريد كان منظَّمًا منذ عهد الاشوريين والبابليين وقد عرفهُ الفرس واليونان والرومان. وكان امرهُ مشهورًا عند العرب. قيل ان اوّل من اتَّخذهُ عندهم معاوية بن سفيان. قال ابن الطقطقى: « ابتكر معاوية اشياء لم يسبقهُ احد اليها منها انهُ وضع البريد لوصول الاخبار بسرعة ». وسار الخلفاء على ذلك. وفي قصَّة رواها الأتليدي (مجاني الادب ٢ : ١٨٩) انَّ بريد الرشيد كان يقطع المسافة بين دمشق وبغداد بستَّة ايَّام. وكذلك كان البريد يسير بين مصر ودمشق على طريق غزَّة

فيقطع هذه المسافة في مدَّة لا تتجاوز الستين ساعة . وكان التراسل بين الحاضرتين في أيَّام الملك الظاهر بيبرس مرَّتين في الاسبوع والخيَّالة تبدل خيلها في نقط معلومة تبعد الواحدة عن الاخرى اربعة فراسخ

ولم تزل اعمال البريد تزيد انتظامًا وتحسُّنًا حتى ايَّامنا هذه حيث بلغت في البلاد المتمدّنة كمالها . وكثيرًا ما تعقد الدول الكبرى مؤتمرات لسدّ ما يطرأ من الخلل على البريد . اشهرها مؤتمر بَرْن سنة ١٨٧٤ وفيه أُعلن بالاتحاد العام للبريد بين الدول فانضمَّت اغلب الحكومات الى معاهدة هذا المؤتمر حتى حكومتا العجم والهند . ومنذ ذاك الحين ترى اعمال البريد تترقّى عامًا بعد عام فتزداد اتساعًا وانتظامًا وتسهيلًا لاسيَّما لنقل المراسلات التجاريَّة التي عليها الآن قوام النجاح وركن الترقي الحاضر في العالم المعمور

٣ القوافل

ومن اقدم اسباب التواصل البرّيَّة القوافل تُتَّخذ لنقل الغلَّات والسِلَع ومرافق البلاد . واذا تصفَّحت تواريخ الشرق وجدت القوافل تتنقَّل بين اقاصي الامصار واطراف البلاد منذ بدء التمدُّن البشريّ لانَّ قوام التجارة انَّما كان منوطًا بهذه القوافل التي كانت تحمل محصولات الشرق الأقصى والهند وتركستان الى العجم فالعراق فالجزيرة فالشام فمصر لاسيَّما قبل ترقي فنّ الملاحة اذ لم يقوَ البشر على خوض البحار فانَّ القوافل كانت الواسطة الكبرى للمعاملات التجاريَّة تقطع البراري ذهابًا وايابًا لا تني مع ما يتصدَّى لها من العوائق

وكان يترأس في الغالب هذه القوافل رجال اشدَّاء محنَّكون على الاسفار عارفون بالبلاد وطباع اهلها ولغاتهم ذوو مالٍ واسع يملكون عددًا وافرًا من النوق والبعران . وقد اشتهر في قيادة القوافل عرب البادية وبالخصوص الاسماعيليُّون كما يظهر من قصَّة يوسف الذي باعهُ اخوتهُ لقافلة منهم كانوا سائرين الى مصر بجمالهم الحمَّلة نكعةً وبلسانًا ولادنًا (تكوين ٣٧ : ٢٥) . ويذكر سفر الملوك الثالث قوافل سليمان التي كانت تأتي الى اورشليم بمعادن اليمن ومرافق الجزيرة . وكان لهذه القوافل مراكز يحتلُّونها كانت لها بمثابة محطَّات تجاريَّة كقرقيسيا وحلب وتدمر (راجع مقالة الاب رتزفال في زنب او الزَّبَّاء ملكة تدمر . في المشرق ١ : ٤٩٨)

والقوافل لا تزال حتى يومنا هذا تؤدي للمجتمع الانساني الخدم الجمّة في البلاد التي لم تُمدّ فيها بعد الاسلاك الحديديّة كمجاهل افريقية وصحاري المغرب ومفازات ما بين النهرين واقفار جزيرة العرب وبوادي الشام والاناضول وذلك ريثما يقوم البخار مقام الجمال والدواب فيغلبها بسرعته ورخص اسعار نقله

٣ العجلات والدرّاجات

لمّا ترقّى الانسان في معارج المدنيّة ورأى ما في التواصل من الفوائد العظمى بحث له عن وسائل أخرى لتسهيل معاملاته وسرعة انتقاله من بلد الى آخر فدلّهُ عقلهُ الوقّاد على الدواليب وحركتها السريعة اذا ما دارت على ارض سويّة فوفّر لذلك الطرق واجال عليها العجلات تجري بها الخيل المطهّمة. وقد جاء ذكر العجلات واوصافها وتصاويرها بين آثار المصريّين التي ترتقي الى نحو اربعة آلاف سنة قبل المسيح. وكذلك عرفها البابليّون وكانوا يتّخذونها لحروبهم. وفي سفر التكوين انّ يعقوب نزل الى مصر راكبًا على العَجَل التي بعث بها فرعون لتحملهُ هو ونسلهُ (تكوين ٤٦: ٦). وكان للعجلات في كل آن مقام عظيم بين الشعوب المتمدّنة لمنافعها الوافرة التي لم تفقدها حتى يومنا مع كثرة الاختراعات التي زاحمتها. ومن هذه العجلات ما يجرّهُ الدوابّ المعروفة ومنها ما يسيّرهُ الكلاب وفي البلاد الشماليّة اشكال تربّى لهذه الغاية وبالخصوص لسحب المزالج فوق الجليد. وكذلك ايائل الشمال المعروفة بالران (rennes)

وممّا يلحق بهذا الباب اختراع جديد فاز بنجاح كبير منذ بضعة اعوام وهو الدرّاجات التي يركبها الراكب فيحرّكها بقدميه ويجري بها جريًا سريعًا حتى انهُ يباري البخار نفسهُ. وقد انتبه ارباب الجيش الى منافع الدرّاجات فاتّخذوا لها قومًا من الجنود يركبونها في اوان الحرب فيجسّون اخبار العدوّ ويؤدون لجيشهم خدمًا لا يقوم بها غيرهم الّا بالمشقّة كنقل الانباء البرقيّة ومساعدة الجرحى وغير ذلك

٤ القطار الحديدي

هو ابن اليوم وملك الغد لم يمضِ على اختراعهِ قرنٌ تامٌ وتراهُ الآن يسير في اكثر البلدان تطنّ لصفيرهِ الآذان ويطرب لمنظرهِ الجنان اذ انّ استنباطهُ من اخطر الاعمال الانسانيّة وانفع الاختراعات العصريّة كيف لا وقد مهّد طرق المواصلات وقرّب الأقطار

التازحة ورفع عن كاهل الانسان وعاتق الحيوان ما كانا يكابدان في نقل الاحمال من شدَّة الأتعاب وطول الاسفار وضنك الاحوال وذلك بسرعة غريبة حتى انَّ البعض قدَّروا بانَّ السكَّة الحديديَّة يمكنها ان تطوف حول كرتنا الارضيَّة باحد وعشرين يوماً ولو اقتضى لساعٍ ان يقوم بذلك ماشياً على قدميهِ مشياً متواصلاً لما قطع هذه المسافة باقل من احد عشر شهراً

وقد انتشرت خطوط السكك الحديديَّة في العالم انتشاراً عظيماً ويؤخذ من تقويم سنة ١٩٠٠ انَّ مجموع الخطوط المنتشرة على الارض بلغ ٧٩٤,٠٠٠ كيلومتر. وأملنا وطيد بانَّ بلادنا تنال منها حظًّا وافيًا بامتداد الخطّ البغدادي الذي بوشر به مؤخرًا وبالخطَّين الحجازي والحيفوي اللذين يُعدَّان من اعظم آثار الذات الشاهانيَّة أيدها الله

والى السكك الحديديَّة تُعهد اليوم منقولات البريد وسلع التجارة لا يُخاف عليها نيران الشمس الحارقة ولا ثلوج الجبال الشاهقة فضلًا عن كونها في مأمن من اللصوص وكثير من آفات الدهر

ويلحق بالقطار الحديديّ مراكب الاوتوموبيل التي افرد لها المشرق مقالةً خصوصيَّة فعليك بها (المشرق ٣: ٢٣ — ٢٧)

التراسل المائي

١ النارجيل وجلد الحيوان والصناديق

ما عتم الانسان ان وجد في الماء مساعداً على نقل اخباره واسباب تواصلهِ بيني جنسهِ. قيل ان الهنود كانوا اذا ارادوا ان يرسلوا خبرًا الى بلد يعمدون الى النارجيل (الجوز الهندي) فيجعلون ضمنهُ كتبهم ويسدُّونهُ سدًّا محكمًا ثم يلقونهُ في الانهار فيسير بهِ الماء حتى يدرك حواجز مرصودة لهُ فهناك يلتقطهُ مراقبوهُ فيأخذونهُ ويبلّغونهُ اربابهُ بحثيهِ. يُحكى عن الاسكندر أنهُ وجد على انهار الهند شيئًا من هذه الرسائل فلم يدرك سرَّها حتى اطلعهُ على مضمونها احد قوادهِ المشهورين بالذكاء فكسر نارجيلةً منها امامهُ بحضرة جنودهِ فاراهُ ما تحتوي من الرسائل

وكان التراسل المائي شائعًا عند القرطجنيين الَّا انَّهم كانوا يتخذون لذلك جاود

الحيوان فينفخونها ويجعلون في جوفها رسائلهم ويلقونها في الانهر فتطوف على وجه الماء وتسير مدفوعةً بالتيّار

وحكى بلينيوس المؤرخ انّ الرومـان ايضًا اخترعوا طرقًا شتّى للتراسل المائي فاستغنوا بذلك عن البريد. وكان غيرهم من الشعوب يتخذون صناديق محكمة القفل ويثقلونها باثقال معاومة بحيث لا ترسب فتُفقد ولا تطوف على وجه الماء فتقع في ايدي الغرباء . فكانت هذه الصناديق تسير في مجرى الانهار حتى تُدرك السدود فيتلقاهـا المراقبون الى اصحابها

٢ الأطواف

ثم حاول الانسان ان يركب هو متن العباب لينتقل محمولًا فوقهُ من بلدٍ الى آخر. والمرجّح انّهُ باشر اوّلًا الامر بالاطواف (الكلك) وهي عبارة عن قِرَب يُنفخ فيها ويُشدّ بعضُها الى بعض فتصير على هيئة السطح وكثيرًا ما يُجعل فوقها الخشب وتُعبّى عليها الأثقال فتجري المياه بها وبمن عليها من الركاب وربّما استعانوا بالمقاذيف لتعجيل سيرها وتنظيمهِ. وفي تصاوير خرساباذ ترى قومًا من العرب ينفخون القِرَب ليطوفوا عليها وهذه الصور يتجاوز عهدها ثلاثة آلاف سنة وفي ذلك دليل على قدم استعمالها. وهي اليوم تُتّخذ كما في سابق الزمان فينحـدر اهل العراق راكبين الطوف من دياربكر الى الموصل الى بغداد الى البصرة واذا بلغوا حيث شاؤوا فكّوا الاطواف وباعوا الاخشاب واخذوا القِرَب فحمّلوها الجمال ورجعوا بها الى بلدهم

٣ المراكب

غير انّ بني آدم لم يكتفوا بالاطواف وهي لا تفي بحاجتهم الّا في بعض الاحوال ولذلك اصطنعوا لهم الزوارق والقوارب وجعلوا لهـا المقاذيف وانتقلوا من مدينة الى اخرى تابعين سواحل المدن البحريّة. ثم زادت ثقتهم بنفسهم فكبّروا القوارب واتّخذوا المراكب الشراعيّة فساروا الى البلاد المجاورة ثمّ خاضوا معامع اليمّ واستعانوا في سيرهم بنواميس الكواكب الى ان ارشـدهم الله الى سرّ الابرة المغناطيسيّة فلم يخافوا ان يوسّعوا نطاق اسفـارهم حتى بلغوا اقاصي المعمور واكتشفوا عالمًا جديدًا على يد خريستوف كولمبوس الاسباني سنة ١٤٩٢

وكان للفينيقيين ومواطنيهم في ترقي الملاحة اليد الطولى وقد جاء ذكر سفنهم في كتابات يرتقي عهدها الى الفي سنة قبل المسيح وفي المشرق (١ : ٢١٧) نبذة طيّبة للاب دي كوبيه اليسوعي في تاريخ الملاحة الشرقية نحيل اليها القرّاء اظهر فيها الكاتب البارع ما كان لشعوب الشرق عموماً وللفينيقيين خصوصاً من الفضل في فنّ الملاحة وكان لهم عمائر بحريّة يلتجئ اليها فراعنة مصر لمحاربة اعدائهم ورد ذكرها في رسائل تل العمارنة في القرن الخامس عشر قبل المسيح

ثم جاء اليونان والرومان والعرب ثم اهل البرتغال والاسبانيّون ثم الهولنديّون والفرنسيّون والانكليز وكان كلٌّ منهم يخطو خطوةً في تحسين السفن الشراعيّة حتى امكن ماجيلان ان يطوف حول الكرة الارضيّة بمركبه سنة ١٥١٩. وفي سنة ١٧٨٣ اخذوا يصفّحون المراكب بالنحاس بدلاً من الرصاص فزادت المراكب خفّةً ومتانةً

وكان ملّاحو السفن يقومون بحاجات العامّة فينقلون بلاغاتهم ورسائلهم وذلك جزاء اجور باهظة كانوا يتقاضونها كما يشاؤون وكثيراً ما كانت مدّة اسفارهم تطول شهوراً بل سنين من جرّاء الانواء ومماكسة الرياح حتى تضيع الفائدة المقصودة من التراسل

ولمّا كانت سنة ١٨٠٧ دخلت الملاحة في طور جديد باكتشاف جمس واط السكوتلندي الآلةَ البخاريّة فسارت السفن يدفعها البخار الى اقاصي البلاد تسير سيراً منتظماً بسرعة تزيد يوماً بعد يوم حتى صارت المراكب البخاريّة تقطع حالاً المسافة بين ليفربول ونيويورك باقل من خمسة ايّام

وخدمة السفن التجاريّة للتواصل والتراسل مشهورة فانّها لا تنقل فقط البضائع ومحصولات البلاد بل تنقل البريد والرسائل بانتظام عجيب لاسيّما بعد معاهدة البريد بين الدول سنة ١٨٧٤ كما مرَّ خبر ذلك سابقاً فاتّفقت الحكومات مع الشركات الخصوصيّة وعهدت اليها نقل المراسلات وكلَّ اعمال البريد

التراسل الهوائي

الاصوات والابواق والطبول

انَّ البرّ والماء من اسباب التواصل العظيمة الّا انّهما لا يُقطعان الّا بالمشقّة

والتعب فينبغي لمن كان وصلةً بين المتراسلين ان ينتقل من محلّ الى آخر. وقد سعى البشر بان يسدّوا هـذا الخلل بالتراسل الهوائي. واول ما فكّروا فيه لذلك الاصوات البشريّة فكانوا يقيمون رجالا على قمم الجبال يأتون بالاصوات الصارخة فيتلقّاها الواحد من الآخر حتى ينتهي الامر المقصود الى اصحاب المركز الاخير. وقد شاع ذلك في قربنا على مشارف لبنان فان اهلهُ يتناقلون الاخبار من قرية الى أخرى بوقت قريب اذا ارادوا

وقد اتّخذ بعض الشعوب النفير والابواق لاعلان الامور وحشد القوم. وهكذا كان يفعل بنو اسرائيل فانّ موسى النبي عهد الى فئة منهم بان يدقّوا الابواق ليؤذنوا ببعض الامور الخطيرة كالاعياد واليوبيل والحرب الى غير ذلك. ولا يزال النفير يستعمل حتى يومنا بين الجنود وعلى السُّفن الحربيّة. وكذا قل عن الطبول فانّها كانت من ادوات الإنذار لاسيّما في الامكنة القريبة

ومن الاصوات المستحدثة لنشر بعض الاخبار والاشارة الى امور معهودة اطلاق المدافع كما يجري في عرض البحار عند اليأس الشديد وطلب النجدة. ومثلهُ قرع الاجراس في المدن الكبرى عند الحريق او الانذار بخطر. وكذلك الصفير البخاري كما في القطارات الحديديّة والسفن

٣ الرايات والاعلام

ومن العلامات الهوائيّة للتراسل وتبليغ الأنباء الرايات والأعلام تُنصب في الامكنة العالية بحيث يطّلع عليها من يرصدها فهذه الرايات تدلّ بالوانها الناصعة على امور اصطلح عليها القوم فاذا نُشرت ادرك الناس معناها فتنبّهوا لاسرارها. وقد ألِف ارباب السُّفن هذه العادة فتراهم يعلنون لمن بَعُد عنهم اموراً كثيرة بواسطة هذه الرايات والوانها وكيفيّة وضعها

وقد استعاض غيرهم عن الرايات باعلام خشبيّة فيها شبه اليدين تتحرّكان بسرعة بواسطة مفتاح وتدلّان بحركاتهما على امور شتّى وربَّما تعدّدت هذه الاشارات حتى امكن الدلالة بها على حروف الهجاء وتركيب الجمل. ويُرى مثل هذه الاعلام حتى يومنا في بعض جبال فرنسة وانكلترة وسويسرة. وهي تقام عند محطّات السكك الحديديّة وفي البوارج الحربيّة وغيرها

٣ النيران

ان الرايات السابق ذكرها لا تصلح الّا النهار اما الليل فقد عمد القدماء الى النار فكانوا اذا شاؤوا ابلاغ حادث من بلد الى آخر يضرمون النيران على الروابي واعالي الجبال وكان الاعوان يقابلونهم بالمثل من الجهة الموازية فتحصل بذلك الفائدة المقصودة وتُعرف الاخبار بزمن قريب بين المسافات البعيدة. وهذه النيران قد كثر استعمالها عند الامم القديمة كالاشوريين والفرس واليونان والرومان. وكان للعرب نيران مثل هذه يتراسلون بها منها نار الأُهبة كانوا يوقدونها على جبالهم اذا ارادوا حربًا او توقعوا امرًا فيبلغون الخبر بذلك. ومنها نار القرى او الضيافة توقد على رؤوس الآكام ليراها الضيوف عن بُعد فيقدمون الى بيوت الكرماء. ومما اخبر به صاحب تاريخ بيروت (ص ٦٠) انَّ في ايَّام السلاطين العظام كانوا « قرَّروا اعلامًا ناريَّة تصل الى دمشق في ليلة فكانوا يشعلونها من ظاهر بيروت فتجاوبها نار في رأس بيروت العتيقة ومنهُ الى جبل بوارش ومنهُ الى جبل يبوس ومنهُ الى جبل الصالحيَّة ومنهُ الى قلعة دمشق »

٤ حمام الزاجل

حمام الزاجل او الزجَّال هو حمام البطاقة وحمام الرسائل من قولهم زجلهُ اذا ارسلهُ على بُعد وهو من الوسائل التي شاع استعمالها في الشرق للتراسل بين البلاد البعيدة. وذلك من عهد قديم. وقد اخبرت التوراة انَّ نوحًا اطلق الحمامة من فلكهِ دفعتين فعادت اليهِ وفي فيها غصن الزيتون استدلَّ بهِ على انتهاء الطوفان

وقيل انَّ الرومان اوَّل من سبق واتَّخذ الحمام الزاجل لنقل الرسائل فكانوا يأتون بهِ الى رومة عند مجيئهم لحضور حفلات سباق العجلات ثم يصبغونهُ بالوان تشير الى الاحزاب الرابحة او الخاسرة في الرهان ويطلقونهُ فيعود بسرعة عجيبة الى ابراجهِ حيث كان القوم ينتظرونهُ ليقفوا بذلك على الرابحين

وجاء في تاريخ الرومان انَّ القائد انطونيوس سنة ٤٣ قبل الميلاد في اثناء حصار مدينة مودينه ارسل الى واليها رسالة علَّقها في عنق حمامة فاعادها الوالي وحمَّلها رسالة الجواب

ويؤخذ من اقوال بلينيوس المؤرخ انَّ الحمام كان يُتَّخذ منذ زمن قديم لنقل الرسائل. وجاء ذكرهُ ايضاً عند اليونان في العابهم المعروفة بالاولمبيَّة

ولم يُعنَ احد بحمام الزاجل عناية العرب به فانهم طالما استعملوهُ في حروبهم منذ ايَّام بني اميَّة ثم استخدمهُ الخلفاء من بني العبَّاس ثم السلاطين العظام منهم السلطان سليمان خان الغازي فانهُ كان مولعاً به وقد نظَّمهُ لنقل الرسائل بين دار السلطنة واطراف دولته

وممَّن اشتهر باتخاذ حمائم الرسائل السلطان نور الدين الشهير. اخبر ابن كثير في تاريخه انهُ لمَّا رأى امتداد مملكته واتساعها من حد النوبة الى همدان اتَّخذ سنة ٥٦٧ (١١٧٢) قلعة وحبس الحمام. فشاع مذ ذاك الحين عن حمام الزاجل من حسن الترتيب بنقل التراسل والسير على خطَّة الانتظام بين مصر والشام ما اكثر من وصفهِ الكتَّاب. واتُّخذت لهذا الحمام ابراج خصوصيَّة يبعد كلُّ برج عن الآخر اثنا عشر ميلاً وعيِّن لهُ عمَّالاً وحرَّاساً يراقبون حركاته وطرق سيره وكان التراسل يتمُّ بغاية الضبط والدقة بين الاسكندريَّة والقاهرة ودمياط وغزَّة والكرك والقدس ودمشق وبيروت (راجع تاريخ بيروت ص ٦٠) وحلب حتى الفرات وقد جاء في كتاب حسن المحاضرة للسيوطي (١٦٩:٢) فصل في هذا الشأن آثرنا نقلهُ لما فيه من الفوائد قال:

وفي سنة ٥٩١ (١١٩٥) اعتنى الخليفة الناصر لدين الله بحمام البطاقة اعتناء زائدًا حتى صار يكتب بانساب الطير الحاضر انهُ من ولد الطير الفلاني وقيل انهُ بيع بالف دينار. وقد الف القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في امور هذه الحمام كتاباً سمَّاه تمام الحمام (ويروى تمائم الحمائم) وذكر فيه فصلًا فيما ينبغي ان يفعلهُ المتطلّق وما جرت العادة به في ذلك فقال: كان الجاري به العادة انها لا تحمل البطاقة الَّا في جناحها لامور منها حفظها من المطر ولقوَّة الجناح والواجب انهُ اذا انطلق من مصر لا يُطلق الَّا من امكنة معلومة فاذا سُرّحت الى الاسكندريَّة فلا تُسرَّح الَّا من منية عقبة بالجيزة والى الشرقيَّة من مسجد التبن ظاهر القاهرة. والى دمياط فمن بيسوس بشط بحر منجى. والذي استقرت قواعد الملك عليه ان طائر البطاقة لا يلهو الملك عنهُ ولا يغفل ولا يهمل لحظة واحدة فيفوت مهمَّات لا تستدرك امَّا من واصل وامَّا من هارب وامَّا من متجدد في الثغور. ولا يقطع البطاقة من الحمام الَّا السلطان بيده من غير واسطة احد فان كان يأكل لا يهمل حتى يفرغ وان كان نائمًا لا يهمل حتى يستيقظ بل ينبَّه. وينبغي ان يكتب البطائق في ورق الطير المعروف بذلك. (قال) ورأيت الاوائل لا يكتبون في اوائلها بسملة. (قال) وانا ما كتبتها قط الَّا بسملة للبركة. وتورَّخ بالساعة واليوم لا بالسنين وينبغي ان لا يكثر في نعوت المخاطب فيها ولا يذكر في البطائق حشو الالفاظ ولا يكتب الَّا لبّ الكلام وزبدته ولا بد ان يكتب شرح الطائر ورفيقه ان كانا طائرين قد سُرّحا حتى ان تأخر الواحد رقب حضوره او يطلق لئلَّا يكون قد وقع في

برج من ابراج المدينة. ولا يعمل للبطائق هامش وجرت العادة بان يُكتب في آخرها «وحسبنا ونعم الوكيل». . . وذلك حفظ لها. (قال) وانّ عدد الحمام المستعمل للرسائل بلغ في اخر جمادى الآخرة من سنة ٦٨٧ (١٢٨٩) الفاً وتسعمائة طائر وكان بالقلعة في مصر عدّة من المقدمين لكل مقدم منهم جزء معلوم وكانت الطيور المذكورة لا تبرح في الابراج بالقلعة ما عدا طائفة منها فانّها في برج بالبرقية خارج القاهرة يُعرف ببرج الفيوم رتّبهُ الامير فخر الدين عثمان بن قزل استادار الملك الكامل محمّد ابن الملك العادل بن بكر بن ايّوب وكانت البطائق ترد اليه من الفيوم ويبيتها من القاهرة الى الفيوم من هذا البرج وكان في كل مركز حمام في سائر نواحي المملكة مصراً وشاماً . . . وفيها يقول ابو محمد احمد بن علوي بن ابي المقال القيرواني :

خضرٌ تفوت الريح في طيرانها يا بُعد بين غدوّها ورواحها
تأتي باخبار الغدوّ عشيّةً لمسير شهرٍ تحت ريش جناحها
وكانما الروح الامين بوحيهِ نفث الهداية منهُ في ارواحها

وقال الدميري (١: ٢٩١) في وصفه :

ومن طبع هذا الحمام انهُ يطلب وكرهُ ولو أُرسل من الف فرسخ ويحمل الاخبار ويأتي بها من البلاد البعيدة في المدة القريبة. ومنهُ ما يقطع ثلاثة الاف فرسخ في يوم واحد وربّما اصطيد وغاب عن وطنهِ عشر حجج فاكثر فيبقى على ثبات عقلهِ وقوّة حفظهِ ونزوعهِ الى وطنهِ حتى يجد فرصةً فيطير اليهِ

امّا الفرنج فانّهم لم يعرفوا فضل الحمام الزاجل قبل دخولهم البلاد الشرقية في القرن الحادي عشر وكانت حمامة بطاقيّة وقعت في خيامهم صدفةً فرأوا معها كتاباً الى العدوّ. ولم يشع بينهم استعمالها الّا في القرن السابق فانّ في سنة ١٨٤٠ انشأت شركة هافاس بين لندن وبروكسل وباريس ابراجاً لحمام الرسائل فكان الحمام يقطع المسافة بين لندن وباريس في ٦ ساعات وقد ادّى الحمام خدمات جليلة للصحافة ولم يُهمل الّا عند انتشار التلغراف

وقد استعملت الحكومة الفرنسويّة حمام البطائق في حربها مع بروسية كما ورد ذلك في المشرق (٥: ١٠٢٧). وكذلك قد استخدمتهُ المانية واعتنت بتربيتهِ وانشأت لهُ ابراجاً على حدودها في قلاع متس وستراسبورغ وغيرهما وعلى دوائرها الحربيّة. قيل انّ مجموع ما انفقت الحربيّة الالمانيّة لذلك الى غاية سنة ١٨٨٩ خمسة واربعين الف فرنك. وفرنسة تهتمّ اليوم في انشاء ابراج للحمام الساعي لنقل الاخبار بين الجزائر وطولون وكذلك بين وهران واملاكها في داخل افريقية



صورة حمامة من افضل اجناس حمام الزاجل (مصوَّرة عن الاصل)

واشهر الحمام المستعمل عند العرب للرسائل الحمام المطوَّق العراقي الابيض العنق ومنهُ اشكال أُخرى ايضاً. وربَّما استُعمل الحمام للسباق والرهان في بعض البلاد. وفي بلجكا يُقام سنويّاً معرض لهذا السباق والحكومة تكافئ اصحاب الحمام السابق بجائزة سنيَّة. وفي بلادنا ايضاً قوم مولعون بتربية الحمام نخصّ منهم بالذكر اهل حلب ولهم في ذلك شهرة. وهم يبتاعون الحمام من كفتين وفيها صنفٌ جيّد من الحمام قيل انهُ من نسل الحمام المصريّ الغالي الثمن الذي كان في أيام الخلفاء والله اعلم

٥ المنطاد

هو المركبة الجويَّة او البالون وقد وصف المشرق غير مرَّة تاريخهُ ومخترعيهِ وترقيهُ وانواعهُ فنكتفي هنا بالاشارة (راجع المشرق ١: ٣١٨ و ٦٠٤ ثم ٢: ٣٨١ و ٨٧٩ ثم ٤: ١٠٩ و ٩٥٧ ثم ٦: ٦٢٣) وما يسعنا هنا قولهُ انَّ المنطاد لا يلبث ان يدخل قريباً في سلك الوسائل النظاميَّة لنقل الاخبار بين بلد وبلد ولا غرو انهُ يزاحم بعد قليل القطارات الحديديَّة والمراكب البحريَّة ويغلبها بسرعتهِ وقلَّة نفقاتهِ وكل آتٍ قريب

هذا نظر عموميّ في اخصّ وسائل التراسل والمواصلات التي استعملها البشر منذ

الزمن القديم الى عهدنا . وقد بقي علينا ان نذكر التراسل الكهربائي وطرائقهُ الّا انّ هذا يقتضي فصلًا مطوّلًا نؤجلهُ الى فرصة اخرى

الحلواء

نبذة للدكتور بطرس كُيك مدرس فنّ الصيدلي في مكتبنا الطبيّ وللاب لويس شيخو اليسوعي

قرأنا في احد اعداد مجلّة الطبيعة الفرنسويّة (La Nature, 23 Mai 1903, p. 398) فصلًا لبعض منشئي هذه المجلّة تحت عنوان « طعام عربيّ » مدارهُ على الحلواء وقد زعم الكاتب « انّ هذا الطعام قد تفرّد بهِ اهل جزيرة العرب وخصوصًا اهل الجنوب منها واهل عمان وجهات مسقط فيصنعونهُ دون غيرهم ويقتاتون بهِ » وهو لعمري قول شطط رماهُ صاحبهُ على عواهنهِ دون ان يتحقّق صوابهُ . فان كل من سكنوا الشرق يعلمون بان الحلواء قوتٌ شائع في معظم البلاد الشرقيّة كالعجم والعراق والجزيرة والشام ومصر واليمن . وقد انتهزنا هذه الفرصة لنبحث عن تاريخ الحلواء وتركيبها وخواصّها

❁ اسمها ❁ الحلواء لغةً كل طعام حلو تدخل في تركيبهِ الصنعة . وقد ورد ذكر الحلواء بهذا المعنى الواسع في كتب العرب الراقية الى زمن الخلفاء الاوّلين . فيريدون بهِ مصنوعات السكّر او العسل مع السّمن والاقط والسميذ كالفالوذج والقطائف وما شاكلها (راجع فقه اللغة ص ٣١٧) . وقد تصرّفوا باسم الحلواء . فقالوا حَلْوًا وحَلْوى بالقصر وجمعوها على حَلاوى . وقالوا حُلْوى على وزن فُعلى مع جمعها على حُلْويات . وقالت العامّة حَلاوة فشاع هذا الاسم حتى ورد على هذه الصورة في كتب الائمة واصحاب اللغة وجمعوهُ على حلاوات قال الادريسي في وصف دمشق (راجع مجاني الادب ١ : ٢٠٠) : امّا الحلاوات فبها منها ما لا يوجد بغيرها ولا يوصف كثرةً وطيبًا وجودةً

على انّ هذا الاسم الجنسيّ كثيرًا ما يُطلق على طعام خاصّ قائم بذاتهِ يركَّب على طريقة معلومة مع اختلاف في الكم والكيف . وقد وردت بهذا المعنى في اخبار العرب عن ملوك الفرس اذ يعدّدون مآكلهم فيجعلون الحلواء بينها مع اللوزنيج والفالوذج

وما شاكلهما فيذكرهم الحلواء مع هذه الأقوات دلُّوا على انهم يعنون به مأكلًا خصوصيًا. وهكذا جاءت بهذا المعنى الخاص في المسعوديّ (طبعة باريس ٥: ٤٠٢) في جملة اخبار سليمان بن عبد الملك احد خلفاء بني امية. وفي اخبار الرشيد (٦: ٣٠٦) وروى عن المكتفي (٨: ٢٢٦) انَّ «وظيفتهُ كانت عشرة الوان في كلّ يوم وجَدْي في كل جمعة وثلاث جامات حلواء»

﴿ تعريفها ﴾ ولكن ان ثبت ان الحلواء طعام خصوصيّ ترى ما هو هذا الطعام. فان طلبنا في معاجم اللغة لفظة الحلواء لا نجد في شرح مادَّتها سوى انها «فاكهة حلوة» وهو تعريف لا يشفي غليلًا. وقد ورد ذكر الحلواء في الحديث فقال المحدِّثون انَّما يراد بها الخَبِيص وهو التَّمر يُلَبك باللبن. وجاء عن ابي عُبيدة انَّ العرب تقول: «كلُّ طعام لا حلواء فيهِ فهو خداج اي ناقص غير تامّ». وذكر الصابئ في تاريخ الوزراء (راجع المشرق ٦: ٦٥١) انَّ في مطابخ الوزير ابي الحسن بن الفرات «قومًا كانوا يعملون الحلواء عملًا متَّصلًا». وجاء في قانون ابن سينا في كلامهِ عن حصاة المثانة «انَّ الحلواء ممَّا يولّد هذه الحصاة»

وكل هذه الأقوال لا تدلُّ على كُنه الحلواء مع دلالتها على انَّها طعام معروف مستقل بنفسهِ. وجاء في الفصل السابع عشر من كتاب منافع الاغذية ودفع مضارّها للرازي (ص ٥٠) انَّ من الحلواء «ما يُتَّخذ من النشا ودقيق الحوارى». ثم خصَّص الفصل الثامن عشر من كتابهِ بالحلواء. وقسم الفصل قسمين ذكر في الأوَّل الحلواء مجملًا ثم وصف ضروبها تفصيلًا في الثاني. وقد جعل في عداد الحلواء الفالوذج والخبيص والعصيدة واللوزينج والقطائف والزلابيَّة والخشكانك والشاهدانك والناطف وغير ذلك من الاطعمة المختلفة التركيب. وفي الجزء الثاني من مطالع البدور في منازل السرور لعلاء الدين علي الغزولي فصل في الحلواء (ص ٧٩) يجعلها مرادفًا للفالوذج وقد عرَّف الفالوذج بقولهِ انهُ لباب البُرّ يلبك مع العسل ثم يذكر ان العرب في الجاهليَّة اخذوها عن الفرس. وفي تاريخ الفخري لابن طقطقى في اخبار الوزير مؤيد الدين القُمّي (راجع مجاني الادب ٢: ٧٣) ذكر «الحلاوة» واضافها الى النبات فقال ان هذا الوزير امر بان يُحمل منها صحون كثيرة للفقراء ليذخرها لهُ الى يوم القيامة

فهذه كلها شواهد لا تعرّف الحلاوى وتركيبها كما هي معروفة اليوم. وعندنا ان

اوّل من بيّن خواصها وانواعها نجم الدين محمود بن ضياء الدين الياس الشيرازي من اطبّاء القرن الثالث عشر للميلاد في المقالة الخامسة من كتاب الحاوي (١ حيث قال في الباب التاسع والاربعين: « الحلاوى كلّها حارّ يابس واعدلها ما اتّخذ بالسكّر واشدُّها حرارة ما عُمل بالعسل. والمتّخذ بالنشا اغلظ واسرع واكثر تولّدًا للسدد وابطأ انهضامًا والمعمول بالسكّر والعسل اصلح خاصّية اذا لم يقع فيه لبوب دسمة واجود اللبوب للحلو اللوز لجلائه وتفتيحه للسُّدَد ولانهُ لا يسخّن كثيرًا »

ثم الحق قولهُ هذا بثماني وصفات لعمل الحلواء سبعٌ منها بالسكّر نثبتها هنا للافادة:

١ * حلواء يابسة سكريّة * يقوّي الدماغ وينفع الناقهين ويسمن بسرعة. (وصفتهُ) يؤخذ من السكّر منٌّ ويصبّ عليهِ ماء ربع رطل (٢ ويُحلّ ويوقد تحتهُ نار هادية حتى يصير منعقدًا بحيث اذا أُخذ منهُ شيء في الفم او في الماء كان عالكًا ثم يُرفع ويُطرح على حجر ويُعجن معهُ اللوز المقشر المرضوض قدر اوقيتين ويبسط فاذا جفّ يُرفع

٢ * حلواء أُخرى * يقوّي الكلية ويغذو كثيرًا. (وصفتهُ) يؤخذ رطلان من الشيرج او السمن الطري الطيب الرائحة ويُغلى ثم يلقى عليهِ رطل ونصف من دقيق السميذ ويُغلى فيهِ ويصبّ عليهِ رطل من الماء ودرهم من الزعفران يداف بماء من ماء ورد وثلاثة ارطال من العسل الشهد في موضع واحد ويحرّك باسطام نظيف الى ان يطلق الدهن ثم يلقى عليهِ في هذا الوقت كفّ من الخشخاش المنقّى وعشرون درهمًا من لبّ الفستق المقشر ثم يحرّك ويغرف على جام قد نُثر عليهِ سكر وينثر على وجهه ايضًا

٣ * حلوا أُخرى * يسمّن البدن ويقوّي الدماغ والكلى. (وصفتهُ) يؤخذ لبّ الخبز السميذ ويُفرك كالفتيت ويُلقى في طنجير ويصب عليهِ دهن الحلّ ويحرك على النار باسطام ولتكن النار هادية كالسراج ثم يطرح فيهِ من السكر الابيض المنخول مثل الخبز ويحرّك ويترّل عن النار بطئهِ قبل ان ينعقد ويغرف

٤ * حلوا أُخرى * يغذو كثيرًا ويقوّي الكلية. (وصفتهُ) يؤخذ طنجير نظيفة فيُصب فيها ثلاثة ارطال من الماء وعشرة دراهم من ماء الورد ورطل من دهن الحلّ ويُغلى ويُذَرّ عليهِ دقيق السميذ رطلان ويحرّك حتى يجمد ثم يُلقى عليهِ اربعة ارطال من السكر الابيض المسحوق ويحرّك حتى ينضج وينعقد ثم يُنزل عن النار ويُغرف

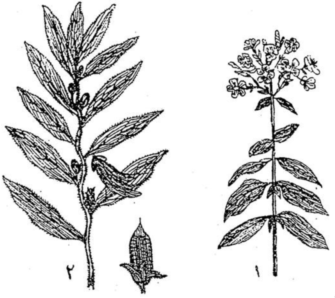
١) راجع الصفحة ٢٣٤ من هذه المقالة التي نشرها حديثًا في بيروت الدكتور كُك مع الترجمة الفرنسية نقلًا عن النسخة المخطوطة المصونة في مكتبة القديس يوسف الشرقية

٢) المنّ كان يساوي قديمًا ٧٩٤ غرامًا و٥٢ سنتيغرامًا. وكان وزن الرطل ٣٩٧ غ و٢٦ س. امّا الاوقيّة فكانت ٣٣ غ بنيف قليل

٥ * حلواء لا دقيق لها * وهي نافعة لاصحاب الامزجة الباردة . (وصفتهُ) يؤخذ من اللوز المقشَّر بعد ان يُذاق لئلَّا يقع فيهِ لوز مرّ ويُدقّ ناعماً وينخل ويفرك ويؤخذ طنجير نظيف ويلقى عليهِ من السكر الابيض ثلثة ارطال ومن ماء الورد ثلث اواق ويحرَّك حتى ينضج ويغرف وينثر عليهِ سكر مسحوق مقدار رطل

٦ * حلواء اخرى * يقوّي المعدة ويغذو كثيراً . (وصفتهُ) يؤخذ نشا رطل ويداف في الماء ويصفَّى بالمنخل ويذاب السكر بالماء ورد ويصب عليهِ في الطنجير ويحرَّك حتى ينعقد ويسقى بالدهن قليلًا وينبغي ان تكون النار هادية لئلَّا يحمرّ ويذهب بياضه

٧ * حلواء الحَلَق * (وصفتهُ) يُدقّ اللوز والسكر ناعماً ويطيب بالمسك وشيء يسير من الكافور فيعمل منهُ حَلَق حتى يجتمع ثم يُطرح في عجين الزُّلابية ويغرف حتى يابس منهُ قميصاً ثم يطرح في المِقلى ويُقلى في الدهن الكثير الذي يغمره حتى يحمر ويقلب فيهِ ثم يخرج ويلقى في العسل



الشكل ١ . شجرة شلش الحلاوة . الشكل ٢ . شجرة السمسم

﴿ الحلواء الشائعة في عهدنا واصطناعها ﴾ تبيَّن لك من الوصفات السابقة انَّ الحلواء الشائعة في ايامنا كانت معروفةً على عهد نجم الدين الشيرازيّ وان تعدَّدت طرق

تهيئتها ومركَّباتها. على انَّ الحلواء في عهدنا ليست على طريقة واحدة فتراها تختلف على اختلاف البلاد فان حلواء اليمن (١ ليست كحلواء العراق وليست حلواء العراق كحلواء الجزيرة او بلاد الشام بل ترى في القطر الواحد تعدُّد الطرائق في استحضار الحلواء. فان حلواء الشام تختلف عن حلواء حلب وحلواء بيروت. وربَّما استُحضرت الحلواء على اشكال مختلفة في البلد الواحد فيتخذونها من الجزر او اليقطين ويخلطونها بالجوز او اللوز او السمسم الى غير ذلك فتتعدَّد انواعها

وانَّنا نكتفي هنا بوصف الحلواء السكَّريَّة التي يغلب عليها اسم الحلواء ويدعونها ايضًا بين العامة «حلاوة بالطحينة» فنقول:

انَّ من يدخل احدى حوانيت باعة الحلاوة يجد اولًا في واجهة الدكان الواحًا من الرخام تُجعل عليها اقراص الحلاوة فتُقطَّع على حسب طلب المشترين. وهذه الاقراص صفراء اللون ضاربة الى الرمدة يسهل تقسيمها الى طبقات غير متساوية ليفيَّة الشكل ترى بينها عروق السكر بعد دوفه على شبه خيوط مستطيلة. وتكون الحلاوة في الشتاء جامدة صلبةً. امَّا وقت الصيف فتكون لزجةً تتقطَّر منها دهنيَّة الطحينة. وطعم الحلاوة حلوٌ فيه شيء من طعم الزيت. والفرنج يستغربون طعمها اذا ذاقوها لاوَّل دفعة لكنَّهم لا يلبثون ان يستطعموا اكلها ويستطيبوها

دعنا الآن ندخل الى داخل المكان حيث تُصطنع الحلواء لنقف على طريقة استحضارها فترى على الجانب الايمن معصرة وهي عبارة عن حجارة رحىً قطرها متر و٨٠ سنتيمترًا. الى مترين يديرها فرس افقيًّا على حجر آخر ثابت تحتهُ فيه جدول وفي وسط الحجر الاعلى ثقب يُجعل فيه السمسم بعد نقعه وتقشيرهِ وتحميصهِ فينعَم بالطَّحن ويصير على شكل مائع يُدعى بالطحينة وهذه الطحينة تصلح لمآكل عديدة منها الطعام المعروف «بالحمص بالطحينة». ثم يسيل المائع من الجدول الى اوعية فتُتَّخذ للحلاوة على حالتهِ ومن هذا المائع يُستخلص زيت الشيرج

وعلى جانب الشمال مِرجل كبير من النحاس يدعى حَلَّة وهو مَشيد ومثبت في

---

١) قد وصف صاحب النبذة التي اشرنا اليها في اوَّل مقالتنا حلواء عُمان ومسقط وجزيرة العرب قال انَّها تُركَّب من ثلاثة او اربعة اقسام من السكَّر ومن نصف قسم الى قسم من السمن يضاف اليهما رُبع قسم من النشا وقليل من حبّ الكيل (؟) الطيّب الرائحة

الحائط فوق مستوقد وفيهِ يُجعل السكر مع الماء فوق نار خفيفة فيذوب السكّر ويُساط بمساطٍ زمناً طويلاً الى ان ينعقد ويُجعل مع القطر جذر نباتٍ يُدعى شلش الحلاوة الذي من جملة خواصهِ انهُ يزبد ويرغو واذا ذيب مع القطر جمّلهُ ينفّش ويتمدّد

وهذا الشلش هو نفسهُ الذي يتّخذهُ الغسّالون لقصر الثياب فانّ رغوتهُ كغسولٍ وقّي تزيل الادران والاوساخ كالصابون ولذلك يدعوهُ الفرنج النبات الصابوني (saponaire) ومنهُ اخذ عرب الاندلس اسمهُ شبنيرة كما جاء في مفردات ابن بيطار (وقد صُحّف بالطبعة المصرية بالستيرة) وهو يدعوهُ بشجرة ابي مالك . (قال) ويعرف في دمشق باسم صابون القاق . وقد ذكرهُ ايضاً باسم المجهاء (راجع كتاب المفردات ٣ : ٥٤ و ١١٧ ثم ٤ : ٣٣) . وهذا النبات انواع منهُ الشرقي الذي ترى صورتهُ (ص ٨٣٢) وهو المستعمل مع الحلاوة

وقد حلّلنا قطعةً من الحلاوة تحليلاً كيمويًّا فكانت نتيجة تحليلنا أنّهُ يدخل في مئة جزء منها ٤١ جزءًا من السكّر و ٥٥ من زيت السمسم اي الطحينة وجزء وثلثان من الماء (٧٣,١) وجزءان وثلث من الموادّ المستخرجة . من شلش الحلاوة . وربّما يضاف الى السكر وشلش الحلاوة قليل من حامض الليمون

والشرقيون يأدمون بالحلاوة خبزهم فيكفيهم منها نحو مئتي غرام (والكيلوغرام منها يباع بفرنك) فيكون مصروف نهارهم لا يتجاوز قرشاً او قرشين

قلنا انّ الحلاوة انواع لا يمكننا تعدادها . ومن اصنافها الشائعة الحلاوة بسمسم تكون على صورة اوراق رقيقة سمك الورقة منها ٣ او ٤ ملّمترات يُجعل السمسم المحمّص على وجهها وهذا الصنف اكثر سكّرًا من حلاوة الطحينة وهو اجود يشبه الناطف الاوربي (nougat)

وفي أيام الصيف يتّخذ باعة الحلاوة صنفاً آخر يدعونهُ الحلاوة الشرانقيّة لأنّهم يصطنعونها في موسم شرانق الحرير وتكون بيضاء صلبةً اكثر ما يدخل في تركيبها السكر مع شيء من معجون اللوز او الطحينة وتُزاد كميّة شلش الحلاوة وقد وجدنا في تحليلهِ كميّة السكر تبلغ ٦٧ جزءًا ونصف في المئة وهو اقرب الى الصنف الذي وصفهُ نجم الدين (ص ٨٣١ في العدد ٢)

وفي الصيف ايضاً تباع في بيروت حلاوة اليقطين لأنّهم يتخذون في تركيبها

اليقطين ويضيفون اليهِ لوزًا وجوزًا وبندقًا. ولونها يكون ضاربًا الى الحمرة وهي صلبة جامدة والحلاوة على اختلاف اجناسها كما ترى غذاء طيّب يتركّب من موادّ نباتيّة موافقة الصحّة مقوّية للجسم وهو يصلح لكل فصول السنة الّا انهُ اوفق لفصلي الشتاء والربيع لتوليدهِ الحرارة في الجسم وهو من افضل مآكل الصوم. والسلام

قواعد التعريب

لحضرة الكاتب الفاضل الاب انستاس الكرملي (لاحق بسابق)

وامّا اذا كان ما تُريد تعريبهُ هو من الألفاظ الدالّة على جنسٍ اي من الألفاظ الاصطلاحيّة من علمية وصناعية فلك في ذلك طريقان امّا تغييرها وامّا ابقاؤها على صيغتها الاعجميّة

الطريق الاول في تعريب الالفاظ الجنسيّة: تغييرها

انك اذا ادخلت اللفظة العجمية لغتك العربيّة ورأيت في تركيب اللفظة الاصليّة حروفًا وحركاتٍ لا تُوجد في لغتك فأجرِ على القاعدة التي استخلصها الائمة الاولون من تتبُّع الالفاظ الدخيلة التي نقلها العرب الى لغتهم. واليك ما قالهُ سيبويه إمام النحاة بهذا الصدد الجليل الاهمية (٢: ٣٤٢ من الطبعة المصريّة)

« يُبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم (اي الكِيم الفارسية) الجيمَ لقربها منها. ولم يكن من ابدالها بُدٌّ لانها ليست من حروفهم. وذلك نحو الجُربُز والآجرّ والجَورَب. وربما ابدلوا القاف لانها قريبة ايضًا. قال بعضهم: قُربُز. وقالوا: كُربَق وقُربَق. ويُبدلون مكان آخر الحرف الذي لا يثبت في كلامهم اذا وصلوا الجيمَ. وذلك نحو: كُوسَهْ ومُوزَهْ. لانَّ هذه الحروف تُبدل وتحذف في كلام الفُرس همزةً مرّةً وياءً مرّةً أُخرى. فلمّا كان هذا الآخر لا يُشبه اواخر كلامهم صار بمنزلة حرفٍ ليس من حروفهم وابدلوا الجيم لان الجيم قريبة من الياء. وهي من حروف البدل. والهاء قد تُشبه الياء. ولانَّ الياء ايضًا قد تقع آخرةً فلمّا كان كذلك ابدلوها منها كما ابدلوها من الكاف وجعلوا الجيم أولى لانها قد أُبدلت من الحرف الاعجمي الذي بين الكاف والجيم فكانوا عليها أمضى. وربَّما أُدخلت القاف عليهِ كما أُدخلت عليها في الاول فأُشركَ بينهما. وقال بعضهم: كَوسَق. وقالوا: كُربَق. وقالوا: قُربَق... وقالوا: كيلَقَة (١ ويُبدلون من الحرف الذي بين الباء والفاء (اي الپاء المنقطة بثلاث نقط تحتيّة) الفاء. نحو: الفِرِنْد والفُنْدُق. وربما

(١) قلتُ: هكذا علّل سيبويه سبب ابدال الهاء الموجودة في اواخر الكلم الفارسية من الجيم او القاف العربيّة الّا ان التكلّف في كل ذلك ظاهر. والذي عندي ان سبب هذا الابدال

ابدلوا الباء لانها قريبتان جميعاً. قال بعضهم: البِرِنْد. فالبدل «مُطَّرِدٌ» في كل حرف ليس من حروفهم يُبدل منهُ ما قَرُب منهُ من حروف الاعجمية. ومثل ذلك تغييرهم الحركة التي في زُوْرْ وآشُوْب (zŏr et âchoûb) فيقولون: زُور وأشُوب (١ وهو التخليط لانَّ هذا ليس من كلامهم وامَّا ما لا يُطَّرد فيهِ البدل فالحرف الذي هو من حروف العرب نحو سين سراويل. وعين اسْمعيل. أبدلوا للتغيير الذي قد لزم فغيَّروهُ لما ذكرتُ من التشبيه بالاضافة فأبدلوا من السين نحوها في الهمس والانسلال من بين الثنايا وأبدلوا من الهمزة العين لانها اشبهُ الحروف بالهمزة (٢. وقالوا قَنْشَلِيل فأتبعوا الآخرَ الاوَّلَ لقربهِ في العدد لا في المخرج. فهذه حال الاعجمية فعلى هذا فوَجِّهْها اه

ومما جاء في هذا الصدد ايضاً قول الخفاجيّ في شفاء الغليل (ص ٤):

اعلم انهم قد يغيّرون الكلمة الاعجمية كما سيأتي والتغيير اكثر من عدمهِ (٣ فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم الى اقربها مخرجاً. وربما ابدلوا الابدال في مثل هذه الحروف وهو لازم لئلَّا يدخل في كلامهم ما ليس منهُ فيبدلون حرفاً بآخر ويغيّرون حركتهُ ويسكّنونهُ ويحركونهُ وينقصون ويزيدون... والحروف المُبدلة عشرة خمسة يطَّرد ابدالها وهي المخلوطة. وخمسة لا تُطَّرد وهي السين والشين والعين واللام والراء (٤ وكل حرف وافق الحروف العربية

هو ان الفُرس الاقدمين كانوا يلفظون تلك الهاء بقوةٍ اشدَّ من القوَّة التي يلفظونها بها اليوم وكان ذلك اللفظ يَقرُبُ من الكَيم اي على حدِّ ما يلفظ اليوم اهل بغداد كلمة «بَاُبونكْ» التي اصلها «بابونَه» بهاء فارسية في الآخر. فهي عندهم بمنزلة الحرف الصحيح لا بمنزلة تاء او هاء زائدة

ولمَّا كانت الكَيم (وهي الكاف ايضاً) تكتب تارةً بالقاف وطوراً بالجيم لا بل وقد كتبها البعض كافاً عربية محضة جاز نقلُها الى جميع تلك الحروف

١) قلتُ: في هذه الكلمة الثانية لم نُبدل فيها المدة من الهمزة فقط بل ان المدَّة في الاصل تلفظ بتفخيم كما في خُذْ. وقد اصطلحنا على ذلك بانف صغيرة تُوضع على الحرف كما ذكرنا ذلك في المشرق غير مرَّة

٢) قد ذهب سيبويه وتبعهُ جمهور اللغويين من العرب الى ان عين كلمة إسماعيل غير اصلية في اللغة التي نقلت عنها اي في العبرانيـة. او في السريانية على رايٍ آخر ضعيف. وقالوا انهُ تعريب «اشمائيل» والحال ان اللفظة تعريب [illegible] (يشماعيل) العبرية وهي منحوتة من كلمتين من «يشماع» اي يسمع و«وإيل» اي الله ومحصَّلها: سمع الله [دعائي] (راجع سفر الخلق ١٦: ١١)

٣) قلتُ: تقدم بك ان هذا الكلام يصدق على الكلم التي عرّبت في الجاهليَّة وفي صدر الاسلام وامَّا في ايَّام عزّ الدولة العربية وأوج عزّها فقد جروا على خلاف ذلك

٤) وفي المزهر والزاي وهو غلط. وقد اصلح احد الكتاب ما قالهُ الخفاجي والسيوطيّ فقال: «ولعلَّ الصواب والذال». قلتُ: وليس ذلك بصوابٍ

والحاء قد تُبدل من الهاء كما في حبّ وهبّ. وهذا كلهُ اغلبي. اه المقصود ايرادهُ

وقد نُقل عن بعضهم عبارات او ألفاظٌ اعجميّة لم يُغيَّرْ منها شيءٌ وهم يفعلون ذلك اماً حرصاً على عبارة الاعجمي التي تكلّم بها فينقلونها عنهُ بحرفها واماً للمزاح والفكاهة والتلطّف قال في شفاء الغليل (ص ٧):

وهم يلعبون بهِ (اي الاعجمي) كثيراً. وربّما استعملوهُ على سبيل التلطّف . . . كقول عديّ: «انا العربيّ الباك» اي التقيّ (كذا في النسخة المطبوعة التي بيدنا. وهو غلط والاصح انا العربي الپاك بباء مثلثة تحتية فارسية) وانشد ابن المعتز لابي اسحق الموصلي:

اذا ما كنت يوماً في شجاها   فقل للعبد يسقي القوم بُرًّا
فان السقي مكرمة ومجدٌ   ومدفأة اذا ما خفتَ قرًّا

قال: «بُر» بالفارسية: «ملآن» اه

وممّا ينعقد تحت هذا الباب معرفة المُعرَّب من النظر الى شروط ادخاله. قال في شفاء الغليل: «وممّا يُعرف بهِ المعرَّب. ١ً اجتماع الجيم والقاف فانهما لم يجتمعا في كلمةٍ واحدةٍ من كلام العرب الّا ان تكون معرَّبة او حكاية صوتٍ. فالاوّل نحو الجَرْدقة للرغيف. والجَرْموق والجرامقة لقوم بالموصل. وجوسق. وجلّق. وجوالق للوعاء. وجُلاهق لقوس البندق. واصلهُ بالفارسيّة «كله» وهي كُبَّة الغزل. والكثير. «كلها» وبهِ سمّي الحائك (كذا في الاصل والاصح ان جلاهق تعريب گروهه). ومنجنيق وهو معروف. والثاني كجَلَنبَلَقٍ لصوت الباب

٢ً لا تجتمع الصاد والجيم في كلام العرب فالجصّ والصنجة والصولجان وعربيّتهُ المحجن معرَّبة. ولذا قال الجوهريّ: الاجّاص دخيل في كلام العرب. وقيل: لم يجتمعا في كلمةٍ عربيّة الّا في صَمَّج وهو القنديل (كذا. الّا انهُ جاء في كتاب المعرَّب: الصمج القناديل روميّ معرَّب. قلتُ واصلهُ بالروميّة (sebaceus) ومعناهُ الشمعة المتخذة من الشحم)

٣ً لا نون بعدها راء. فنرجس ونَوْرَج معربتان

٤ً لا زاي بعد دال. فمهندز وهنداز معرَّبة ولذا ابدلوها سيناً. وهو معرب اندازه

٥ً لا يركّب لفظ عربي من باء وسين وتاء. وبُست (لبلدة). اعجمي

٦ً لم يجتمع في العربية سين وزاي. ولا سين وذال معجمة الّا في كلمة معرَّبة كساذج معرَّب ساده بمهملةٍ وسَذاب لاسم بقلةٍ معرَّب سداب

٧ ليس في كلامهم وزن فُعالان فخُراسان اعجميَّة

٨ لا فاعيل. ولذا قيل: آمين عبراني

٩ لا فِعْلَال بكسر الفاء. وفتح اللام الأَدِرْهم (كذا. وهو معرَّب ايضاً) وهِبلَع وبِلْعَم وضِفْدَع في لغةٍ ضعيفة

١٠ لا يجتمع الطاء والجيم في كلمة. فطاجن معرَّبة كما في الجوهري

١١ وفي المحكم: ليس في كلام العرب شين بعد لام في كلمة عربيَّة

١٢ وقال بعضهم: ممَّا يُعرف به تعريب العَلَم عدم دخول الالف واللام واخطأ من قال المسيح معرَّب وسيأتي في الاسكندر ما ينافيه (قلتُ: وقد تدخل ال على الاعلام المعرَّبة كما في الاسكندريَّة والقسطنطينيَّة وغيرهما. والمسيح معرَّبة لا شكَّ فيها على خلاف بعضهم)

١٣ وفي شرح ابنية كتاب سيبويه: اعلم انهم يعرِّبون الاسماء الاعجمية فيلحقونها بأبنيتهم وربما لم يلحقوها بابنيتهم وربما تركوها على حالها اذ كانت حروفها كحروفهم. اه. وهو الحقّ. وقد غفل عن هذا بعضهم

١٤ وقال الخفاجي في شفائه (ص ٩): اذا وردت كلمة رباعية او خماسيَّة ليس فيها شيء من حروف الذلاقة فاعلم انها غير اصيلة في العربيَّة... الَّا عسجد لشبه السين في الصفير بالنون في الغُنَّة (اه بتصرُّف في التقديم والتأخير فقط. قلتُ: وعندي ان العسجد ايضاً معرَّب وهو مأخوذ من اليونانية «ἀχάτης» ثم أُقحمت السين بين العين والجيم لانها من حروف الزيادة ومعنى العسجد في الاصل العقيق ثم أُطلق على الجوهر كله كالدرّ والياقوت والعقيق ثم خُصص بالذهب)

١٥ ولا تجتمع الصاد والطاء في كلمة عربيَّة فالاصطفلينة وهي شيء كالجزر معرَّبة. وكذا الاصطبَّة وهي المشاقة معرَّبة استي. واهملهُ في القاموس. واماَّ الصراط فصادهُ بدلٌ من السين وليستا لُغتَين كما ظُنَّ (قلتُ: وعلى كل حال فانهُ معرَّب عن s[t]rata او s[t]ratum بحذف التاء الاولى كما اشرنا اليهِ في اوَّل هذه المقالة ليلحق ببناء العرب)

١٦ وندر اجتماع الراء مع اللام الَّا في الفاظٍ محصورة. ولذا قيل الصرلى معرَّب (كذا في الاصل المطبوع الذي بيدنا وليس لهذه الكلمة وجود في كُتب العرب فضلاً

عن اسفار العجم وظنُّها مُصحَّفة والاصل سِدِلّى كَرِيكّى وهو في الفارسية سه دله كانهٔ ثلاثة بيوت)

١٧ً وليس في كلامهم إِنْبِيلِل بكسر اللام لكن بفتحها كإهليلَج وابريسَم ولو سُمِّيَتَ به انصرف الّا انهُ لمَّا عُرِّب نكرةً أُجري مجرى اصول كلامهم معرفتهُ ونكرته فاذا نُقِل الى العَلَميَّة كان منقولًا من عربيٍّ بخلاف اسحاق. اه

هذا كلهُ نقلناهُ عن شفاء الغليل وقد جاء في المزهر (١ : ١٣١) ما يزيد في هذه الشروط قال:

١٨ً ان يَنقل ذلك (اي عجمة اللفظة) احد ائمة العربية...

١٩ً الجيم والتاء لا تجتمع (كذا في الاصل ويريد: «لا تجتمعان») في كلمة من غير حرفٍ ذولقيّ (وحروف الذلاقة ستة وهي: الباء والفاء والراء واللام والميم والنون) ولهذا ليس «الجبت» من محض العربية...

٢٠ً وقال البطليوسي في شرح الفصيح: لا يوجد في كلام العرب دال (مهملة) بعدها ذال (معجمة) الّا قليل. ولذلك ابى البصريون ان يقولوا «بَغْـداذ» باهمال الدال الاولى واعجام الثانية. فامّا الداذيُّ ففارسيّ لاحُجّة فيه. اه

قلت: وقد تكون اللفظة اعجميَّة الاصل وليس فيها شرط من هذه الشروط العديدة. وحسبُكَ دليلًا مطالعة الالفاظ اليونانية التي دخلت العربية وقد ذكرنا بعضًا منها في المشرق فراجعها. وليس في اغلبها علامة الدخيل

وممَّا يليق ذكرهُ في هذا الفصل ما قالهُ صاحب كتاب شفاء الغليل في باب تغيير المعرَّب (ص ٩): « انهُ لا يضرّ المعرَّب كونهُ موافقًا للفظ عربيٍّ كسكَر فانهُ معرَّب وان كان عربيَّ المادة بمعنى غلق قال تعالى: « سُكِّرت ابصارنا » وللوراَق في كثير الحُجّاب:

بوَّابهُ مُرُّ المذاق وبابهُ ابدًا مُسكَّرْ

وكذا إِسحق يوافق أَسحق بمعنى ابعد. وضحَّاك اسم ملك معرَّب ده آك اي فيه عشرة عيوب. ذكرهُ السهيليّ. ومادَّة ضحك عربيَّة. وكذا لا يضرّ ما صحَّت عربيتهُ موافقتهُ لفظًا فارسيًّا او قربهُ منهُ كضنك وتنك وجناح وكُناه. فلذا وهم من ظنَّهُ معرَّبًا (قلت: والمحقق انهما معرَّبان) وامَّا زور بمعنى القوة فمعرَّب. نصَّ عليهِ سيبويه. وظنَّهُ صاحب القاموس من التوافق... وقد يُنقل من مركَّب ويُجعل مفردًا كبجيل

فانهُ معرَّب سنكْ وكُل. وقد يترك على تركيبهِ مثل شهنشاه. وفي المثل السائر: "جمَل معرب «كَوميل» بالعبرانية. وهو غريب. (قلتُ بل هو من توافق اللغات السامية لخروجها من أمٍ واحدة) وقيل «رحمن رحيم» معرَّب. وردَّهُ ارباب التفسير» اه

الطريق الثاني في تعريب الالفاظ الجنبية: ابقاؤُها على بنائها وصيغتها الاعجمية

قد مرَّ بك انهُ يجوز لك في تعريب الالفاظ الاعجمية ان تُغيّرها في نقلك اياها وقد بيَّنَّا لك ان هذا التغيير يكون تارةً بزيادةٍ وطوراً بنقصان وأُخرى بكليهما وآونةً بابدال الحروف الاعجمية مَن حروف تقابلها في العربية او تقاربها فيهـا. واحياناً بهذه كلها مجموعة. فامَّا قاعدة الابدال فتكاد تكون ضابطاً عاماً لا اختلاف فيهِ. لما فيها من صحَّة الجري على الاحكام المبنيَّة على حقائق راهنة وليس في اتباع هذه القـاعدة من ضررٍ على الكتَّاب المحدثين لانهم في ذلك يُقلّدون الاوَّلين

واماً سُنَّة الزيادة والنقصان فان العرب الأقدمين لم يجروا فيهـا على سَنَنٍ واحدٍ ليتمكَّن الخلف من تأَثُّر السلف بل انهم اتبعوا في ذلك اهواءهم واذواقهم فزادوا ونقَصوا بدون ان يعرفوا سبب تصرُّفهم هذا. فان قلت لي: انهم طلبوا في فعلهم هذا إلحاق اللفظة الدخيلة باوزانهم وابنيتهم قلتُ: نعم ان هذا الكلام يَصدق على بعض الكلم واماَّ في ما بقي منها فلا يصدق عليهـا. فاننا نراهم يزيدون وينقصون حتى في الكلم التي توافق اوزانهم. فلو كانت غايتهم ما تقول لَما فعلوا ذلك ولو كانوا ابقوها على حالتها بدون زيادة او نقصان لاهتدوا بسهولةٍ الى الاصول المعرَّبة عنها ولَما خبطوا في تحقيق معانيها ذلك الخبط الشنيع الذي لا تجهلهُ. هذا فضلاً عن ان محاسن اوزانهم كانت تبقى على حالها بدون ان ينالها تشويهٌ او ضررٌ فهذه الملاحظات كلها مع غيرها تمنعك وايَّايَ من ان نُجاريهم في هذا الميدان. قل لي ناشدتك الله لماذا زادوا حروفاً على هذه الألفاظ مثـلاً: بُوته وجَوال وزُمُرد وسرب وأُسرب وأُستون وصَرْنج أو صَرنيج وسندي وتباهه ورَنده فقالوا فيها: بُوتقة وجوالق وزُمُرُّد وأُسربٌ او أسرُفٌ وأُسطوانة وصِمْريج وسنديان وطباهجة وأرندج. ولماذا حذفوا حروفاً من هذه الكلم مثلاً: پياده وديدبان فقالوا: بيذق ودَيدَب مع ان فِعالة وفَيعلان من اوزانهم. ولماذا ابدلوا حروف هذه الكلم مثلاً: بَبر وبَرذُون وبيكار وبنكان وخُپ وتُنبان وتيريز ودالبز أو داليج فقالوا

فيها: : بَيْرَوبَرْذَوْن وبَرْكار وبنكام وبُخت وتُبَّان ودِخْريص ودهليز مع انهُ كان يُمكن ابقاؤها على حروفها الاصليَّة او إبدالها من حروف تقاربها فأبدلوها بغيرها. أفلو ابقوا الاصل على اصلهِ أضرَّهم هـذا العمل؟ ألا انهم ارادوا ان يفهمونا انهم لم يتبعوا في ذلك سُنَّةً مسنونةً وعليهِ فان اردت ان تنحو مناحيهم أو ان تنهج مناهجهم ففي اي امرٍ تتبعهم أفي الزيادة او في النقصان؟ وهم لم يقولوا لك متى تزيد ومتى تنقص ولا اي شيءٍ تزيدهُ واي شيءٍ تحذفهُ ولا في اي وزن او بناء او مكان تكون هذه الزيادة او يكون هذا الحذف

ولنفرض انهم تصرَّفوا هذا التصرُّف طلبًا لاوزانهم. أفذكروا لك قواعد هـذا التصرُّف. وانت اذا تتبَّعت طائفةً من الألفاظ التي تصرَّفوا فيها لا ترى عشرةً منها تجري على سَنَنٍ واحدٍ او قاعدةٍ مُطَّردة. او لَمْ تَرَ ان الائمة الذين وضعوا قواعد لابدال بعض الحروف الاعجميَّة من حروف عربيَّة لم يسنُّوا لك قاعدةً للحذف والزيادة. أفليس هذا كافٍ ليدلَّك على انهُ ليس لهم في ذلك قاعدة تُتَّبع ولا سُنَّة تُشترع ولا صوت يُستمع؟ فهذا كافٍ في هذا الموضوع

ومن ثم فلم يبقَ لك من كل ما قرَّروهُ في هذا الصدد الَّا ابدال الحروف الاعجميَّة من الحروف العربيَّة التي تُقاربها. وهو ما أيدناهُ بالشواهد والقواعد. وامَّا ما في عدا ذلك فليس لك طريق آخر الَّا تعنو صاغرًا وتدخل اللفظة الاعجميَّة ببنائها وهيئتها وصيغتها بدون ان تمسَّها بشيءٍ. اي بدون ان تحذف منها شيئًا او تزيد على أصولها حرفًا واحدًا لانَّ عصر التصرُّف بالألفاظ قد مضى مع أصحابهِ كما ألمعنا اليهِ غير مرَّة في هذه النبذة ولم يبقَ لك الَّا عصر المحافظة على سلامة الاوضاع الاجنبيَّة والابنية الاعجميَّة. وبالخصوص ان العرب قد اباحوا لك ذلك اذ قالوا: « وربَّما تركوا الاسم على حالهِ اذا كانت حروفهُ من حروفهم ، كان على بنائهم او لم يكن ، نحو خُراسان وخُرَّم والكُرْكُم » وربَّما غيَّروا الحرف الذي ليس من حروفهم « ولم يُغيّروهُ عن بنائهِ نحو فرند وبقَّم وآجُر وجُرْبُز » (كلام سيبويهِ وقد تقدم الاستشهاد بهِ سابقًا)

ولعلَّك تتعجَّب من كلامي هذا وتقول:

« ليس في وسع الكاتب نقل تلك الالفاظ بصورتها الى لُغتهِ لشدَّة التباين بين طبيعة هذه اللغة ولغات اولئك الاقوام لان الالفاظ فيها محصورة الاوضاع محدودة الصيغ لا تقبل الزيادة عليها

الّا منها ولا يُمكن ان تُدَسَّ اللفظة الاجنبيَّة بينها الّا بعد ان تجانسها وتواخيها ». (ثم تقول). « واذا لم نُبادر الى سنّ طريقةٍ يُمكن بها وضع الفاظ لهذه المستحدثات او سبك الفاظها في قالب عربيّ لا تتشوَّهُ بهِ هيئة اللغة لم نلبَث ان نرى الاقلام قد تقيّدت عن الكتابة في هذه الامور بَتّةً او اصبح اكثر اللغة اعجميّاً الّا اذا طبنا نفساً عن علوم العصر ومصنوعاته ورجعنا بحضارتنا الى الحدّ الذي كُنّا عليهِ منذ خمسين سنة او فوقها وهي المنزلة التي يُحاول بعض القوم ان يردُّونا اليها ونِعم المصير » اه

قلتُ: على رِسالك لا تتسرَّع في الاحكام ولا تتــدفَّق في الكلام فارجوك ان تمهلني قليلًا لأقول ما في خاطري ثم تكلَّم بما يبدو لك. فأجيب: امّا قولك: « ليس في وسع الكاتب نقل تلك الألفاظ بصورتها الى لغتهِ لشدَّة التباين بين طبيعة هذه اللغة ولغات اولئك الأقوام » فليس بمحكم البرهان ولا بمتــين الاركان. نعم ان بين مزيد لغتنا ولغة اولئك الأقوام بونًا عظيماً ألّا أنّنا في نقــل تلك الألفاظ الى لغتنا لا نتعرَّض لشيء من هدم مزية لغتنا لانَّ « مزيَّة او طبيعة كل لغة قائمة في مكوّنات جوهرها اي عناصرها واصولها ». وامّا نقل لفظةٍ او الفاظ من لغةٍ الى لغــةٍ أخرى فهي من « الأعراض » والحال مهما تكن تلك الاعراض عديدةً او عظيمة فانها لا تفعل شيئاً ابدًا في الجوهر. أجلْ لو كسرنا مثــلًا صيغ الأفعال العربيَّة وصَبَبْنا من كَسرِها قوالب جديدة تماثل مَصوغات الاعاجم وحوَّلنــا اوزاننا الى اوزانهم وغيَّرنا أبنية اسماء لغتنا بابنية اسماء لغتهم وقلبنا قواعد اللغة وضوابطها ظهرًا لبطن لَحقَّ لك ان تنهض هذا النهوض ولَكانتغناك في مثل العمل الخطير. أمّا وان الامر متوقف على ادخال الفاظ بدون تغيير شيء من العناصر والأصول المقوّمة للغة فنحن لا نتابعك ولا نُشايعك. ألا ترى مثلًا كيف ان الفرنسيس والانكليز والايطاليان وغيرهم من الامم المتمدّنة قد ادخلوا لغتهم شيئًا كثيرًا من الفاظ لغات اخوانهم او جيرانهم او اعاديهم في اللغة والعنصر والاصل واللغة مع ذلك باقية على حالتها الاصليَّة متميِّزةً عن أختها او ضرَّتها او عدوّتها بجوهرها المقوّم لها. فكذلك الامر في لغتنا الشريفة

وامّا قولك: « ان الالفاظ فيها (اي في لغتنا العربيَّة) محصورة الاوضاع محدودة الصيغ لا تقبل الزيادة عليها الّا منها ولا يمكن ان تُدَسَّ اللفظة الاجنبيَّة بينها الّا بعد أن تجانسها وتواخيها » فصدر هذا الكلام يَصدُق على الكلم العربيَّة النشأة والصيغة والبناء. وامّا عجزهُ فليس لهُ ذلك الحظّ من الحقّ والصدق. لاني قد عُنيتُ بجمع الكلم

الدخيلة التي وردت في دواوين اللغة العربيَّة وفي كُتُب العرب العلميَّة والصناعيـة فكان مجمل ما جاء في الأولى: ثلاثة آلاف كلمة. وعددُ ما جاء في الثانية اربعة آلاف وخمسمائة كلمة فتكون الجملة ٧٫٥٠٠ كلمة اعجمية وردت في مُصنَّفات العرب. وقد جمعتها واحدة واحدة مع ذكر اسم الكتاب الذي وجدتُها فيهِ واسم مؤلفهِ والصفحة التي وردتْ فيها تلك اللفظة. ولم اتعرَّض ابدًا لجمع الكلم الاعجميَّة التي وردت في كتب مؤلفي القرن المنصرم. وبعد رتبتُها نَسَقْتُها نَسَقَين: سِماطٌ منها يوافق بناؤها البنـاء العربيَّ. والسماط الآخر لا يوافقهُ ولا يوازنهُ. فجاءت فذلكةُ ما في الطائفة الاولى ما يُربي على الفي لفظة بقليل. وما في الطائفة الثانية ما يزيد على « خمسة آلاف كلمة دخيلة لا توافق اوزانها أبنية العرب ولا تجانسها ولا تواخيها » وقد دسَّها مع ذلك العرب انفسهم في كتبُهم ومصنَّفاتهم ومعرَّباتهم. فشتَّان اذن بين منطوق الاوهام ومنطوق الارقام. فذاك اضغاث احلام. وهذا يتمسَّك باذيالهِ ذوو الاحلام. فاذا علمت كل هذا لا تَعُد تُلقي الكلام على عواهنهِ. بل تبصَّر قبل ذلك في ظواهرهِ وكوامنهِ

ومما تقدَّم اجبناك ايضًا عن قولك: « واذا لم نبادر الى سنّ طريقةٍ يُمكن بهـا وضع الفاظ لهذه المستحدثات او سبك الفاظها في قالب عربيّ لا تتشوَّهُ هيئة اللغة » فقد علمتَ ان لا تشويه هناك اذ لا تمسُّ جوهر اللغة بشيء. بل تلك الألفاظ الدخيلة التي لا يمكننا ان نستغني عنها والتي ليس في وسعنا ان نضع لها في لغتنا مقابلًا لها هي بمنزلة الحُلي النفيسة تزيد في غناها. ولا تسلبها محاسنها وجلاء سناها

واما قولك: « لم نلبث ان نرى الأقلام قد تقيَّدت عن الكتابة في هذه الامور بتَّةً او اصبح اكثر اللغة اعجميًّا » قلنا: اننا لم نرَ للعرب عهدًا اندفعت فيه جياد الأقلام في ميدان الكتابة والانشاء في « العلميَّات والصناعيَّات » مثلما اندفعت فيـه في هذا العصر النيِّر. نعم لقد حدث في العصر العباسي مثلما حدث ويحدث في هذه الأيام الَّا انك اذا قابلت مدة تلك النهضة بمدة هذه النهضة ثم وازنت بين نتاج هذه المدة وتلك بعد ان تكون قد تدبَّرتَ نعم التدبُّر ما يُحيطهما من الامور المهيئة لها والمشدّدة للهمم والباعثة الى الاندفاع وراء هذه الغاية السامية او الضـالَّة المنشودة لرأيت نتيجة هذا العصر تفوق اكثر بكثير نتيجة العصر العباسيّ. وما ذلك الَّا لتجوُّز الكتَّاب في متابعة الافرنج في نقل الفاظ مصطلحاتهم ومواضعاتهم بصورها ومبانيها. والَّا فلو

كانوا ينتظرون نفس ما تمنيهم به انت اليوم لبقوا في موطنهم ساكنين ساكتين. بل متهقرين بين المتمدّنين المحبين. فانظر بعد هذا حرك الله المثال. كيف ان كلامك لا تصوّر حقيقة الحال. ولا يُرى فيه مثقال ذرّةٍ من صدق المقال

واما ما بقي من كلامك المذكور فالشواهد الحاضرة تفنّد احسن تفنيد ما تقول. وهي اصدق لسانٍ ناطقٍ بهذا الموضوع الجليل الفروع والاصول

مار سهدونا : ترجمته وتآليفه

بقلم حضرة الاب الفاضل الخوري بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان في حلب

لم نكن نعرف قبل الآن الّا النزر القليل عن هــذا الاب القديس سهدونا او مرطوريس (١ الذي ظهر كالكوكب اللامع في ظلمات الهرطقة النسطوريّة ببلادنا في مبادئ الجيل السابع حتى وُجدت تآليفهُ في هــذه الأيام ونُشرت بالطبع لاول مرّة على يد الكاهن الغيور العالم ذي الايادي البيضاء على آداب اللغــة الكلدانية بولس بيجان الكلداني الفارسي سليل الرهبنة العازاريّة المحترم (٢. فمن تآليفه هذه ومما وصل الينا عنهُ من المؤرخين النساطرة كتوما المرجي في كتاب الرؤساء. ويشوعدناح في كتاب العفّة ورسائل يشوعياب الحزي امكن الكاهن المذكور ان يسطّر في فاتحة كتابه ترجمة حياته ويكسبنا ابًا جديدًا وقديسًا جليلًا وكاتبًا نحريرًا كانت الاغراض النسطوريّة قد بخست حقَّهُ وطمست محاسنهُ والبستهُ ثوب الخيانة لكونهِ نبذ هرطقتهم وتديّن بالايمان الكاثوليكي الاغرّ. فاحببنا ان نتحف قرّاء المشرق بلمعة من سيرته وتآليفه لما فيهــا من الامور الغريبة

ولد سهدونا في هلمون قرية من ابرشية بيت نوهدرا وهي اليوم ابرشيــة دهوك

١) سهدونا بالكلدانيّة الشهيد الصغير. يوافقهُ باليونانيّة مرتيريوس او مرطوريس

٢) [illegible] ܕܡܪܝ ܡܪܛܘܪܝܘܣ ܐܘ ܣܗܕܘܢܐ

S. Martyrii qui et Sahdona quae supersunt omnia : edidit Paulus Bedjan Congr. Miss., Parisiis, via dicta de Sèvres, 95, Otto Harrasowitz, Lipsiae 1902.

وزاخو. ودهوك تبعد مرحلتين عن الموصل في غربيها. وكانت امهُ الفتى لامرأة قديسة اسمها شيرين يذكرها صاحب الترجمة ويكثر من الثناء على تقواها ونسكها وفضائلها فكانت ام سهدونا تتردّد عليها وتأخذ عنها. فترعرع الفتى مجبولاً على حب التقوى ووالدتهُ تبجن في قلبه منذ نعومة اظفاره رغبة العيشة الرهبانية وهي تكرر عليه مراراً: يا بنيَّ ان الموت احب اليَّ من ان اراك مستأسراً لحب العالم كباقي الناس »

وكانت مدرسة نصيبين يومئذٍ زاهرة فقصدها سهدونا واكبَّ فيها على درس العلوم باجتهاد. ولا يبعد ان يكون هناك قد بدا فيهِ الميل الى الايمان الكاثوليكي في اثناء النهضة التي احدثها فيها حنَّانا الحديابي معلم تلك المدرسة في اواخر الجيل السادس عندما نبذ تفاسير ثيودورس المصيصي النسطوريَّة واعتمد على يوحنا فم الذهب في شرح الكتب المقدسة مجهرًا بالقول بالاقنوم الواحد. وتبعهُ في ذلك زمرة من علماء النساطرة منهم يوسف الحزي واسحق النينوي واشعيا الطحالي ويوحنا سابا الدلياتي وغيرهم (١ وقيل انَّ منهم ايضاً البطريرك يشوعياب الجذالي الذي كان سهدونا قد رافقهُ في سفارته الى الملك هرقل فان النساطرة ادَّعوا عليهِ بانهُ لو لم يحرم نسطور لما اجاز لهُ الروم ان يقدس الاسرار الالهية في كنيستهم (٢

---

١) الّا ان هؤلاء كلهم ماتوا في الكنيسة النسطوريَّة ولم يحذوا حذو سهدونا الذي صار كاثوليكيًا بالقول والفعل كما سترى

٢) ويوافق هذا الادعاء ما يقصهُ عمرو بن متى (او هو القس صليبا الموصلي) في ترجمة هذا البطريرك قال: لمَّا حضر يشوعياب لدى هرقل اعجبهُ فضلهُ وحسن ديانته فرغب اليهِ ان يكتب لهُ الامانة بحسب ما يعتقد هو والمشارقة اهل مذهبهِ فكتب لهُ الامانة: « نؤمن بالثالوث الواحد المقدس المتساوي في الجوهر... فلمَّا كان في منتهى الزمان من آجلنا معشر البشريين ومن اجل خلاصنا واحدٌ من الاقانيم المقدسة ابن الله الله الكلمة... نزل من السماء وتجسّم وتانّس من روح القدس ومن مريم البتول القديسة حيث لم يتغيّر عن طبعه ولم ينقص عن مجده بل اتخذ لهُ طبيعة بشريَّة لظهور لاهوته ليس انسان شحيم (ببط) كما يقول المراطقة حاشا وكلّا. ولا نقول ايضاً الاه بلا جسد كما يقول الهراسيس حاشا وكلّا. بل هو الاه كامل ابن طبع ابيهِ بلاهوته وهو انسان كامل ابن طبيعتنا بناسوته شخصانية واحدة رب واحد باتحاد عجيب غير مدرك الذي لا يقبل تبلبلًا ولا تقسماً وهو بلا امتزاج ولا انفصال من الابد الى الابد بالطبيعتين الحقيقيتين لاهوتية وناسوتية رب واحد ايشوع المسيح ابن الله اختار وتألم بالجسد فاماً بلاهوته فلم يدخل عليهِ تألم

فلمَّا اكمل سهدونا دروسه ترك نصيبين وجاء وانضوى الى مار يعقوب الذي كان قد هجر دير ابراهام على جبل الإزل وشيَّد دير بيت عابي الشهير في ابرشية المرج فقبلهُ ربَّان يعقوب والبسهُ الثوب الرهباني وعيّنهُ معاونًا لقاميشوع المتوكل على عمارة الدير. ومن هناك استدعاه يشوعياب الجذالي البطريرك ليرافقهُ في بعثته الى الملك هرقل سنة ٦٣٠ — قال توما المرجي(١: لمَّا قام بالملك شيروي (او شيرويه) احب ان تستتبَّ الراحة في ملكه وان يبعد السجس والفتن والنهب وما احدثهُ ابوه كسرى من الاضرار. فاوعز الملك الى الجاثاليق (يشوعياب الجذالي) ان ينتخب من بلاد المشرق رجالًا مطارين واساقفة ويصعدوا الى بلاد الروم على نفقة الملك وباكرامه مع رسائل وسلام من الملك ليزيلوا النفور والعداوة الكائنة بين الفرس والروم ويزرعوا بفطنتهم السلام بين الناحيتين. فجمع يشوعياب طاعةً لامر الملك شيروي قرياقوس مطران نصيبين وبولس مطران حذياب وجبرائيل مطران كرخ بيت سلوخ (كركوك) واساقفةً رجالًا محنكين ذوي خبرة وفطنة وسافروا برفقة البطريرك ومعهم القديس يشوعياب اسقف نينوى وسهدونا. وهكذا بتوفيق المسيح الاهنا والاه العالمين. ومدبّر الناحيتين والعالم اجمع نال هؤلاء الرعاة رحمةً في اعين الروم فاستقبلوهم ولبَّوا طلبهم كانهم ملائكة الله ورجعوا بسلام لهذه البلاد كل واحد الى كرسيه ». ورجع سهدونا الى ديره وهو كاثوليكي

وحدث انهم في رجوعهم عرَّجوا على مدينة افامية واقاموا فيها مدةً ليستريحوا من تعب الطريق وكان ثمَّة دير لرهبان ملكيين عليهم رئيس شيخ وقور فطلب سهدونا ان يراهُ ويتبرَّك منهُ فادخلوه عنده فوضع الشيخ يمينه على راس سهدونا فشاع عند النساطرة ان هذا الشيخ اذ كان ساحرًا قلب عقل سهدونا واجتذبه الى الهرطقة يريدون بذلك الكثلكة. والصحيح ان سهدونا لم يواجه ذاك الشيخ ويطلب التبرك منهُ الَّا لموافقته معهُ في الايمان الكاثوليكي الذي كان قد ارتدَّ اليه من قبل

وهذا الواحد الرب ايشوع المسيح هكذا يُسجد ويمجَّد بالكمال والتمام مع ابيهِ وروح القدس الخ»
فلمَّا طالعها (هرقل) استحسنها وسألهُ ان يقدس فدخل المذبح ثلث دفعات وقدس وعاد الى كرسيه باكرام

١) كتاب الرؤساء طبعة بيجان (ص ٦٣)

وبعد رجوعه من تلك البعثة صنّف سهدونا كتابه في كمال العيشة النسكيَّة واعرب فيهِ عن اعتقاده الكاثوليكي بصريح العبارة وكان عمرهُ اذ ذاك ثماني وعشرين سنة الّا ان هذا الكتاب بقي مخفيًا ولم يُعرف الّا بعد ارتقاء سهدونا الى اسقفيَّة ماحوزة اربوان مدينة في مقاطعة باجرمي. ولا تحدّث عمَّا سبَّب هذا الكتاب من الحقد على مؤلفه بين الاكليروس النسطوري حيث كان سهدونا في مكان عالٍ من الاعتبار لعلمهِ وفصاحته وتقواهُ ثان يشوعياب الحزّي صديقهُ الذي سعى بترقيته الى الاسقفيَّة لم يدع وسيلةً الّا اتخذها ليرده الى المذهب النسطوري ولو اصغينا الى زعمهِ لقلنا أن سهدونا قد ترعزع مراراً كثيرة وجحد رأيهُ ثماني مرات في الجمع. والمرجَّح انهُ وعد فقط بعدم نشر كتابهِ وسمح مجاراةً لطلب الخصماء ان تُقطع منهُ الفصول الستة عشر الاولى وهكذا وصل الينا. الّا ان هذه الفصول المقطوعة التي يختصرها المؤلف في فاتحة القسم الثاني من كتابه ليس فيها شيء يدلّ على الكثلكة فلا نعلم ما كان الداعي لحذفها فلعلَّ الغاية من ذلك تشويه الكتاب ومنع نشره او يكون سهدونا تطرَّق في تلك الفصول الى مدح الآباء الذين حرموا نسطور والله اعلم

ومنذ ذلك الحين ثار الاضطهاد على سهدونا من اصدقائه انفسهم فاضطرَّ ان يترك كرسيه الاسقفي الذي اتاهُ عنهُ مار اما البطريرك وانفرد في جبل وعاش فيهِ متوحداً. الّا ان الخلوة لم توافق ما كان مفطوراً عليهِ من الغيرة الرسولية فتركها وسعى لدى الملك هرقل ان يُقام اسقفًا على الرها معلنًا بصحة ايمانه الكاثوليكي. غير ان الرهاويين الذين كانوا يعاقبة لم يكونوا ليتقبلوا عليهم اسقفًا يعتقد بالطبيعتين فوشوا بسهدونا لدى الملك بانهُ نسطوري ونالوا عزلهُ فاعتزل في تلّ بقرب الرها وعاش هناك في مغارة حتى قضى فيها نحبهُ ولا نعلم سنة وفاته. وربما حاول اصدقاؤه النساطرة ان يردّوه الى حظيرة الكنيسة النسطوريَّة فلم ينجحوا. وقد اخبر جبرائيل التوديتي رئيس دير بيت عابي انهُ ذهب اليهِ في مغارته لكنهُ لم يقدر ان ينتصر على ثباته وان ادعى انهُ جادلهُ وغلبهُ

قال توما المرجي (ص ٥٣): « بعد ما تفقّه سهدونا بتعاليم الكتب الالهيَّة مليًا في نصيبين وتنوَّر بها وبرع كثيراً اقتبل اسكيم الرهبنة في هذا الدير من ايدي ربّان يعقوب وخضع كما ينبغي لاعمال العيشة النسكيَّة بالصوم والسهر والصلوة تحت ارشاد

معلمنا (يعقوب). ويُستدل من معاني تصانيفه التي وضعها في العيشة الرهبانية بانهُ شعر بعذوبة المارسات التقوية التي لا تذوقها الّا النفس المقتنعة. فانهُ كتب عن جميع مصاعب الحياة الرهبانية في مجلدين ولهُ ايضاً تعزيات ومقالات في شؤون شتى. وكتب ايضاً ترجمة معلمنا (ربّان يعقوب) ومناقب الرهبان في بلاد المشرق وألف تأبيناً لمعلمنا يعقوب يوم دفنه الذي بدؤهُ: « لقد سقط منّا اليوم بالموت رئيس عظيم يا احباني» (قال): وكل من تصفّح هذا الرثاء تحقّق ما لسهدونا من متانة الكلام وبلاغة المعاني واتضح لهُ انهُ كان جبّاراً بين المؤلفين لولا انهُ في الآخر ذل وخرج من عقله» يريد انهُ صار كاثوليكيًا

فمن هذه التآليف لم يصل الينا سوى كتابه في العيشة النسكيَّة وخمس رسالات وقليل من الحكم الدينيَّة في كتاب مخطوط بالخط السطرنجيلي يقرب ان يكون معاصراً لمؤلفه. والكتاب وحيد لا يُعرف لهُ ثانٍ وقد وجد في جبل سينا واليوم دخل في مكتبة سترسبورج وهو ناقص من اوله ومن آخره

امَّا كتاب العيشة النسكيَّة فيقسم الى جزئين ويحتوي الجزء الاول ٢٢ فصلًا لم يبقَ منها لنا سوى ستة والجزء الثاني كامل وفيه ١٤ فصلًا. ففي الجزء الاوَّل يتكلم سهدونا عن ماهية العيشة الرهبانيَّة وعن التجرد عن العالم والعيشة الاجتماعية والانفراديَّة وتجاريبها. وفي الجزء الثاني يتكلم عن الايمان والرجاء والمحبة والفقر والعفة والبتوليـة والصوم والاماتة والصلوة والفرض الالهي والقداس والشكر بعد المناولة والقراءة الروحية والسهر والتوبة والتواضع والطاعة والصبر وحضور الله وما شاكل ذلك

وافضل الرسالات الخمس الرسالة الرابعة وهي اطولها وجَّهها سهدونا الى راهب كان قد نبذ نذوره ودخل العالم ففي هذا البحث العجيب يوضح سهدونا جمال الدعوة الالهيَّة وقبح السقوط وفاعلية التوبة المكفرة عن كل ذنب والثقة بالله وخطر مقاومة النعمة وشيء كثير من النصائح النفيسة العمليَّة

ومن يقرأ هذا الكتاب يرَ ما كان عليه هذا الانسان من غزارة العلم والفصاحة فضلًا عن التقوى ولا نعرف لهُ شبيهاً بين الآباء في رشاقة الافكار وسبك العبارة سوى يوحنا فم الذهب. وتعاليمه صحيحة مستقيمة يستحق الذكر منها ١° : الفصل الثاني من الجزء الثاني وهو احكم واجمل بحث جاء في الآداب السريانية عن سرّ الثالوث

والتجسد الأقدسين. — ٢ً رايهُ الصريح في الديونة الخصوصيَّة وسعادة الابرار وهلاك الاشرار حالًا بعد انفصالهم عن الجسد. — ٣ً التمييز بين الخطية المميتة والعرضية. ٤ً شرحهُ لذبيحة القداس. — ٥ً اعتقاده برئاسة بطرس الرسول. — ٦ً رايهُ في الزواج المعقود بعد النذور الرهبانيَّة وانهُ لا يصح. وبالاجمال براهينه قويَّة وكلامه سديد موسوم بطلاوةٍ من شأنها ان تقنع القارئ على ممارسة الفضيلة التي يشرحها. فجزى الله خيرًا ناشر هذا الكتاب واجزل ثوابه على ما يتكبده من الأتعاب فانهُ لم يَنِي منذ سبع عشرة سنة من ان يتحف بني جلدته بنفائس كهذه خدمةً للدين واللغة والتاريخ

الصومال والدِكْدِك

نبذة لجناب الصيدلي القانوني عبد الله افندي مخائيل رعد المتخرّج في مكتبنا الطبي

١ الصومال

من خليج تَجُرَّه وقسم من ساحل البحر الهنديّ الى الجبال الشامخة القائمة عليها سهول هرر والحبشة تمتدّ صحاري واسعة فسيحة تُعرف ببلاد الصومال يستوي جزء صغير منها وسطح البحر عازًا ثم ترتفع دفعةً واحدة تقريبًا الى علوّ ٦٠٠ متر تتدرّج بعدها بالارتفاع فتختلف نقطها بين ٦٠٠ و ١١٠٠ متر وتختلف حرّها على نحو اختلاف ارتفاعها. هذه الصحاري تُقسم الى اقسام وكل قسم منها يدعى باسم القبيلة التي تسكنهُ من ذلك صومال العيسى وصومال الهَبَرَوَّل وصومال الكدابورسي وغير ذلك واهمُّها الثلاثة المذكورة. امَّا هذه البلاد واخصّها العيسى فهي عبارة عن اكمات بركانيَّة الاصل سوداء قحطة محزنة يتخللها سهول رملية محرقة يغطيها في فصل الامطار بساط من العشب الاخضر فيجعلها مراعي خصبة للمواشي وينبت فيها هنا وهناك شجيرات من نوعي الاكاسيا والميموزا الشوكيتين يتعلّق على اغصانها كثير من النباتات المعترشة. امَّا في بعض النقط العالية فترى هذه الاشجار متلاصقة بعضها والنبات المعرّش مشتبك من شجرة الى اخرى بحيث يصعب على الصيَّاد ان ينفذ بين هذه الادغال. وفي مثل هذه الغابات الافريقيَّة يعيش كثير من الوحوش الضارية والسباع

والقرود والضباع والحيّات وغير ذلك. امّا في السهول القليلة الاشجار والادغال فيرعى بنوع اخصّ الغزال والارنب وطرائد غيرهما ترى قطعانًا سارحة كالنعم لا يعكّر صفاءها ضجيج الصومال اذ لا حركة لهم ولا هم مسلحون باسلحة نارية

٢ الدكدك

من اجمل غزلان هذه الارض حيوان صغير جميل يعرف بلسان الصومال بالدكدك ويدعوهُ العرب هناك «بني اسرائيل». درس هذا الغزال كثير من علماء الحيوان وكل منهم اعطاهُ اسمًا يختلف عمّا سمّاهُ الآخر. من ذلك ان العالم الفرنسوي دي بلانفيل (de Blainville) دعاهُ *neotragus saltianus* والعالم بلوفرد (Blaufard) سمّاهُ *antilope hemprichiana* وقد حذا حذوهُ بهذه التسمية العالم روبل (Rüppel) الالماني كذلك المسيو براهم (Brehm) دعاهُ *cephalophus hemprichii* والمسيو (R. Ward) سمّاهُ *madoqua saltiana* وغيرهم دعاهُ غير ذلك. وكل من هؤلاء العلماء اعتمد لتسميته على اشارات طبيعيَّة غير ما استند اليه الآخر لذلك لم استطع تفضيل اسم على آخر وقد اثرت ان اسرد اهمّ اسماء هذا الحيوان

(تعريفه) اتاحت لي الفرصة ان طاردت هذا الحيوان في الصحراء مرّات على مقربة من محطات الخطّ الحديدي فلم اكتفِ بلذة الحنجرة عند اكل لحمهِ الطري اللذيذ وخصوصًا الفخذ منهُ والاضلاع بل رأيت ان انال منهُ لذّة علميَّة ايضًا فدرستهُ درسًا زوولوجيًا واثرت ان آتي القرّاء الكرام على نتيجة ما لاحظتهُ

قياس الدكدك من مقدَّم فمهِ الى طرف ذنبه يتراوح بين ٦٠ و ٧٠ سنتيمترًا. ذنبه قصير لا يتجاوز ٥ س واذانه طويلة يختلف قياسها من ٥ الى ٩ س ومتوسطها غالبًا ٨ س. ولهُ عنق طويل كبقيَّة انواع الغزال ومحيط هذا العنق من ١٠ الى ١٢ س. علوهُ من ٤٠ الى ٤٣ س. قوائمهُ الاربعة رفيعة. شعرهُ اشقر يخالطهُ رمدة قليلة. وهذا الحيوان سريع الركض خفيف الحركة يقفز بين الادغال فيغيب عن الصياد بلمح البصر ويترك على الرمل نقش ارجلهِ على شكل قلب مستطيل يتراوح قياسه من ٢ الى ٣ س ويعلو رأسه قرنان صغيران بينهما قنبرة شعر لطيفة وهو كبقيَّة بني جنسهِ من الحيوانات المعروفة بعلم الحيوان من فصيلة الحيوانات المجترَّة خالٍ من الاضراس في الفكّ الاعلى

امّا فكّهُ الادنى ففيهِ ثمانية اضراس احدها عريض مركزه متوسط بينها . والسبعة الباقية كلها رفيعة



غزالان من غزلان الحبش: ١ المادوك ٢ الديلو

لا قرون الّا على رأس الذكر من الدكدك وطول هذه القرون يتراوح بين ٧ و ٩س وهي مستقيمة تقريباً جزؤها الاسفل اشقرمثلث الزوايا واعلاها املس ناعم مستدير ينتهي برأس رفيع شبه الشوكة وهذا الطرف من القرن منحرف قليلًا الى الامام او الى احد الجانبين . امّا الانثى فهي خالية من القرون لها اربعة اثداء كل واحد منها بحلمة واحدة . وهي لا تحمل في الغالب الّا صغيرًا واحدًا كما ظهر لي من تشريح اناث كثيرة حوامل من جنس هذا الحيوان

لا يرعى الدكدك قطعانًا كبقيَّة انواع الطريدة في هذه الصحراء. انَّما يرى منفردًا او ازواجًا وندر مشاهدة زوجين يرعيان سويَّةً وقد روى لي بعض الاهلين انهُ نظر مرةً واحدة ثلاثة ازواج من هـذا الحيوان تمشي سوية وقد قصَّ ذلك على ذويهِ فلم يصدقوهُ لمعرفتهم بقلّة تآلف هذا الحيوان. امَّا الاماكن التي يغزر فيها وجود الدكدك فهي صحراء الصومال العيسى واخصّ منها بذكر سهولُ لسحرات وآداگالا وآرثو حيث يجد الصيَّاد الدكدك يقفز بين الادغال وعلى حافة الانهار الناشفة. وقد رام بعض الافرنج ان يدجنوا هـذا الحيوان كالغزال المعروف فلم يصيبوا الى اليوم المرمى وقد أُتي حاكم مستعمرة جيبوتي برضيع منهُ فعمل ما بوسعه لتربيته وكانت هناك عنزة ترضعهُ لبنهـا فعاش اشهرًا قليلة ومات وما ذلك الّا لان جنسه معتاد على كثرة الحرّ والحرّيّة

يمين العلي

روايةٌ تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ

الفصل الحادي عشر

نهاية عالم

رسالة راسيوس الى صديقهِ لوسيليوس في بيروت

من معسكر اورشليم في ١٣ يونيو

كأنّي بك يا صاح ظننتني ميتًا ولولا حراسة العلويين ونظر الآلهة لما كنتَ كذبتَ في ظنك. وهاءنذا اليوم قد ابرمتُ عهدًا جديدًا مع الحياة بل قُلْ مع الصحة والعافية. ولا إخال صديقنا العزيز لاونطيوس سها عن مكاتبتك كما كنتُ اوصيتهُ في ذلك اذ كنتُ مضَّجعًا وانا بين حيّ وميّت وكتفي مخلوعةٌ وصدري مفتوح بطعنة جائفة. فترى اني بلغت الى حافة القبر وانَّ رجلي كادت تصعد سفينة الموتى التي يقودها كارون

فهذا كلهُ قد اعلمك بهِ لاونطيوس لكنَّ هذا الصديق الصدوق سكت ولا مراء عمَّا بذلهُ في سبيل شفائي من الوسائل الفعَّالة فان انا الآن جالس بالدعة والهنـاء على

مدخل خيمة طيطس فان الفضل في ذلك لهذا الحلّ الوفيّ الذي نفعني على قدر اسكولاب اله الطبّ. وان كنت تعدّني في عداد خلّانك فاشكر لهذا الضابط الذي لم يحرمك صداقتي. فانهُ مع كونهِ نصرانيًّا (او بالحريّ لانهُ نصرانيّ) قد انقذني من سهام العدوّ اذ كادت تذيقني سكرات الموت ثم تولّى امر تمريضي كالامّ الحنون فلم يبرح خيمتي ساهرًا عليَّ ليلًا مع نهار الى ان اعان الطبيب بزوال الخطر وقرب شفائي. فتأكَّد ايها العزيز انَّ فعل لاونطيوس لمن افعال الشهماء التي لا يأتي بمثلها بشر فلله درّهُ ما اعظم نفسهُ واشرف همّتهُ

انَّ مودّتي لك حملتني على تسطير هذا الرقيم وان لم ابرأ تمامًا من جراحي. فانَّ يدي الشمال لا تزال خدرةً مخبولةً لا احرّكها الّا بألم. فلا اعلم أيمكنني بعد هذا ان اركب جوادي واضبط عنانهُ في السير. امّا جرح صدري فانهُ قد اندمل بعد الجهد الجهيد

وان سألت عن مسكني فاعلم اني في مضرب قائدنا العظيم طيطس نفسهِ. وقد قيل لي اني أصبتُ بجراحي وانا ساعٍ في انقاذهِ من ايدي اليهود. فاراد ان يظهر لي شكرهُ بان جعلني في خيمتهِ وكان يتلطّف صباح مساء فيمرّ عليَّ ليستخبر عن صحّتي. وفي هذه الأيام احوجتهُ الحرب الى ان يقلّل من عيادتي لأنهُ قد فتح قسمًا من المدينة وهو لا يغيب ساعةً عن جنودهِ لئلّا يغنتم العدوّ فيستنهض همتهم. على اني عارف حقّ المعرفة انَّ ابن فسبسيانوس لم ينسني وانَّ جراحي قد مهّدت لي سُبُل المعالي اكثر من عشرين موقعةً أبليتُ فيها البلاء الحسن. ومن ثم سواءٌ عليَّ أخوض معامع الحرب ام لا

ولعلّك تتعجّب من امري فتقول: أهذا راسيوس الضابط الذي كان يتشوّق الى الحرب العوان؟ أفيُسَرّ بجراحهِ ليَنجو من اهوال الحرب؟ كلّا لا تروّعني الحرب ولا تهدّ عزيمتي ويلاتها وانّما أُسرّ لكوني وقعتُ كريمًا دون ان أهرق شيئًا من دم قوم شاركتهم في الجنسيّة فتاة من بيروت تميل اليها عواطفي. فكيف يا تُرى ترضى بان تقترن بجنديّ تلطّخت يداهُ بدماء شعبها. فناشدتك الآلهة بان تبلّغها ان الضابط المأسور بحبّها بريء من دم اليهود مع كونهِ لم يقصّر في واجباتهِ الجنديّة وخاطر بنفسهِ كحرّ لا يهاب الموت

هذا ولو كانت قواي تسمح لي بالعودة الى بيروت لطلبتُ من قائدنا رُخصةً اقضيها في جواركم فابلَّ من سقامي قرب الاحباب. لكنَّ الاحوال تقضي عليَّ بان ابقى هنا الى آخر الحرب

ويا لها من حرب مشئومة فانّنا لم نَعُد نقاتل عدوًّا يحاربنا فنحاربهُ بل نحصر بجزرة قوم حلفوا بان يموتوا في مدينتهم ولا يطلبوا اماناً. ومنذ أيام رأى قائد الجيش مع اركان الحرب انَّ الأَولى بنا ان نكفَّ عن مقاتلة رجالٍ يئسوا من الخلاص فاستقاروا فنجتزئ بتشديد الحصار وتضييق نطاقهِ ونحن نعلمُ ان الجوع قد برَّح باهـل اورشليم واجهدهم فيفتك بهم فتكاً ذريعاً. هذا فضلًا عمَّا في قلوب زعمائهم من الحزازات التي تحمل بهم على شهر السلاح على اقرانهم

والحقُّ يقال انَّ حالة هذه المدينة التي كانت من امّهات المدن وحواضرها لمّا يفتّت الاكباد. فاعلم يا صاح أننا لمّا باشرنا الحصار منذ ثلاثة اشهر كان فيها عدد اليهود نيفًا والف الفٍ اتوا مدينتهم المقدَّسة لعيد الفصح واليوم قد مات منهم بالحرب والجوع اكثر من نصفهم. امّا حالة الاحياء فهي اسوأ من حالة الموتى. فترى هؤلاء المساكين بين رجال ونساء وصبيـان يهيمون في وجههم يلتمـون شيئًا يسدُّون به رمقهم فلا يكادون يجدون. امّا حامية البلد فانّهم يحافظون على الطعام الباقي بحرصٍ لا شبيه بهِ مدَّعين انهُ لهم فقط ليتمكَّنوا من الدفاع عن اورشليم. بل رُبَّما يطوفون البلد وهم مدجَّجون بالسلاح فيدخلون البيوت عنوةً وينهبون ما بقي فيها من القوت

وكثيرون من الاهلين صونًا على حياتهم يخرجون ليـلًا تحت جنح الظلام من ابواب المدينة فيطوفون حول الاسوار لعلَّهم يجدون شيئًا من نفاية طعامنا يتقوَّتون بهِ. فيراهم العسس كاشباح موتى خرجوا من قبورهم وجلودهم لاصقـة بعظامهم وعيونهم غائرة في حجاجها وفي اوَّل الامر كانت تأخذ جنودنا الشفقة عليهم الّا انَّ طيطس امر بقتلهم لئلّا يطول الحصار بذلك

ومع ما صار اليه القوم من سوء الحال وشرّ الدمـار لم نسمع حتى الآن انّهم ينوون فتح ابوابهم بل كلّهم مصرّون على مناصبتنا يحتملون بصبرٍ جميـل كل هذه الخطوب حبًّا بمدينة ملوكهم. ومنهم من يقضي أيّامًا لا يأكل غير اعشاب يابسة كالحيوان او جلودًا ينقعونها بالماء فيأكلونها. وغيرهم يعمد الى العظام او قرون البقر

فيدقونها ويتّخذونها طعاماً . ومن وجد منهم حيوانات قذرة كالفئران والجرذان يعدّ نفسهُ سعيداً . امّا البُرّ فقد اضحى المدّ منهُ يباع بوزنة من الفضة (٦٠٠٠ فرنك) على انهُ صار اليوم اعزّ من الغراب الاعصم

وقد اخبرني بعض من فرّ منهم طالبين الامان خبراً ما كنتُ لاصدّقهُ لولا انهُ اكّدهُ لي بايمانٍ محرّجة . وهو انّ صوت الطبيعة لم يعد مسموعاً في قلوب كثير من الوالدين فترى الآباء والأمهات يحرمون اولادهم قوتهم ليضنّوا بهِ على نفوسهم وربّما قتل بعضهم بعضاً على بيتة ليلة . ومنذ نحو اسبوع مرّ بعض جنود حنّا الجشّي في حيّ من احياء المدينة فشمّوا قتار شويٍ فما كان منهم الّا ان كسروا الباب ودخلوا فاذا بامرأة قطعت طفلها شطرين كانت تشوي قسماً منهُ لتسدّ بهِ جوعها الكَلِب . فلمّا رأتهم قدّمت لهم من شرائها . واذ رأتهم يستغربون فعلها قالت : « هيّا كلوا ولا تكن قلوبكم على ولدي احنّ من قلب امٍ عليهِ »

هذا برضٌ من عدٍ ووشلٌ من بحرٍ ولو اردتُ ان اصف لك كلّ ما بلغني عن حالة اليهود لطال بي الكلام . وحسبك ان تعلم انّ كثيرين من جنودنا الذين لا يعرفون الرحمة قد اخذهم السأم من قتل هؤلاء الصعاليك فيقولون جهاراً : « انّهم جنود وليسوا بجزّارين » وهم يطالبون ان يهجموا على المدينة هجمةً اخيرة لئلّا يروا اعداءهم في هذه الحالة من الضنك والمجاعة

على انّ بعضاً من اصحابنا وهم المسيحيّون يسعون طاقة جهدهم في مساعدة هؤلاء المنكوبين . اخصّ منهم بالذكر صديقي لاونطيوس الذي يحارب في ساحة القتال كالاسد القسور الّا انهُ بعد الوقائع اعطف من امٍ على ولدها . فاذا رأى احداً من غرثى اليهود مهاجراً الى معسكرنا دافع عنهُ لئلّا يصيبهُ اذى وسدّ رمقهُ . وقد عاينتهُ يوم امس وهو يعطي رجلاً منهم اكبر شطر من طعامهِ . وقد تعجّبت من ذلك غاية العجب مع علمي بان اليهود يعدّون النصارى كألدّ اعدائهم . فلعمري اني لا ادرك كيف يكافئهم تبعة المسيح بالحُسنى عن بغضهم

ويزيد عجبي لصنيع هؤلاء النصارى اذا ما قابلتهُ مع فظاظة جنودنا مع اليهود بل ترى طيطس نفسهُ الذي ضُرب المثل بحلمهِ يتشدّد على الذين يفرّون من المدينة ويلتجئون اليهِ فلا يرثي لحالهم . فانهُ منذ خمسة عشر يوماً اخذ منهم ٥٠٠ فعلّقهم على

صلبان ومثّل بهم ليكونوا عبرة لاخوانهم ولكنّ الامر كان على خلاف ظنّه . لانّ الذين رأوهم من داخل المدينة زادوا تحمّساً وآثروا الموت كرماء تحت ردم مدينتهم على الاستسلام . واخذوا يشتمون يوسيفوس المؤرخ الذي جاءهم وسيطاً ليستدعيهم الى طلب الامان

ومن غريب الاتفاق الذي استلفت اليه انظاري صديقي لاونطيوس انّ هؤلاء المنكوبين الذين صلبهم طيطس انّما صُلبوا فوق اكمة تُعرف بالجلجلة وهي التي عليها صَلب اليهود منذ نحو اربعين سنة يسوع المعروف بالمسيح الذي يعبدهُ النصارى . فكان هذا الاتفاق كآية علوية يحسبها جنودنا النصارى كعقاب لما عاملوا به ذاك البارّ اذ طلبوا انّ دمهُ يجري عليهم وعلى اولادهم واكرهوا بيلاطوس الحاكم على صلبه

اني أسرع الى ختام كتابي هذا لئلا تفوتني فرصة ساعٍ يرسلهُ طيطس اليكم ولعلّ هذه آخر مرّة اكتب اليك من اورشليم لانّ اعمال البريد لم تعُد تجري بنظام والمدينة على وشك السقوط وانشاءت الآلهة نكن عندكم قريباً فنتجاذب عياناً اطراف الحديث

ولكن ارجوك ألّا تنسى تلك الفتاة التي تحنُّ اليها اضلاعي . . . فان امكنك ان تبلّغها اخباري وتعلمها باحوالي فلا تتأخّر . . . كما اني انتظر منك ان تفيدني عن امورها ما يحيط به علمك . . . أتراها سهت عني او بالحريّ ألم يستولِ على قلبها البغض اذ تراني مشغولاً في حرب قومها . فبالله عليك قُلْ لها اني قائم على وفاء العهود واني وددتُ لو أنقذ قومها ممّا يحيق بهِ من التهلكة . وعلى كلّ حال فلتعلم انّ يديَّ لم تريقا نقطة من دم شعبها . فليُحظِني السعدُ بها قريباً . . . اراني تائهاً في افكاري فاقبل عذري واعتبرني كصديقك المخلص - " الضابط راسيوس

*

كلاّ ساء ظنّ راسيوس اذ حسب انّ شدّة المجاعة كادت تلقي الى الرومان بمقاليد مدينة اورشليم . نعم انّ الجوع كان يذيق اليهود اوجاعاً أمرّ من الموت ألّا انّ عنادهم كان يزداد مع الأيام على قدر ما كان الرومان يأخذون بخناقهم

على ان طيطس لم يشأ ان تبقى جنودهُ فارغةً بلا عمل بل امرهم ان يملأوا الخنادق التي تحيط بقلعة انطونيا (راجع خارطة اورشليم ص ٦٦٦) فشيّدوا اربعة

جسور ضخمة توصل بينهم وبين ذاك الحصن الحريز. وكان اليهود لما نالهم من خور القوى والخطاط العزيمة يرونهم دون أن يتصدّوا لهم وهم يأملون انّ الله لا يهمل شعبهُ بل يصنع لخلاص مدينة قدسهِ عجائب خوارق كما فعل أيام حزقيا اذ ضرب ملاك الله معسكر البابليين واباد قوّاتهم

ولمّا كان الثلاثون من شهر حزيران دقّ النفير في وسط الليل فهجم الرومان من كل جانب على قلعة انطونيا على نور المشاعل والنفّاطات. فسمع اليهود هذه الجلبة ولم يستطيعوا ان يدافعوا عن هذا المعقل المنيع الذي كان كفوءًا لردّ كلّ غارات العدوّ لولا حالة المدافعين من الهزال والضنك. وغاية ما امكنهم فعلهُ انّهم قاموا يتراكضون الى جهة الهيكل ليلوذوا بحرمهِ. على انّ الرومان ادركوهم وقتلوا منهم عددًا لا يُحصى طول ليلهم ولم يكفّوا الّا عند طلوع الفجر اذ رأوا اكداسًا من جثث القتلى وجداول من دمائهم تجري فرويت سيوفهم وكلّت ايديهم

على انّ الحرب لم تضع اوزارها بفتح قلعة انطونيا فانّ الرومان لمّا دخلوا عنوةً في هذا الحصن هالهم منظر الهيكل الاورشليمي وهو اشبه بمدينة حريزة منهُ بمعبد ديني

فرأوهُ اذ ذاك لاوّل مرّة واذا هو عبارة عن جبل تُحدق بهِ الابنية كالسوار بالمعصم وكان امامهُ ثلاثة ارصفة منظّمة على شكل درج. فالرصيف الاول كان طولهُ عشرة امتار وكلّهُ مبني بنحيت الحجارة الضخمة وفوقهُ رواق اعمدة من رخام لا يحرّكها الوفُ من البشر (راجع انجيل مرقس ١٣ : ١—٢)

ومن خلال هذه العواميد كان الناظر يرى ساحة متّسعة مفروشة بالفسيفساء تدعى ساحة الامم التي لم يسمح اليهود للوثنيين ان يتعدّوها. وكان الرومان يرون فوق هذه الساحة ساحةً أخرى تُعرف بساحة النساء كنّ يصعدن اليها باربع عشرة درجة ويدخلن في باب مصفّح بالفضّة والذهب علوّهُ عشرون ذراعًا

ووراء هذه الساحة في وسط الحرم كانت درجات أخر مع باب من نحاس قورنتس يسمّى باب نيكانور كان يفتحهُ ويقفلهُ عشرون من عمّال الهيكل وكان ينفذ منهُ اليهود الى رواق يبلّغهم ساحة بني اسرائيل وهي تنتهي بدرجة واحدة تفصلها عن ساحة بني لاوي التي فيها كان مذبح التقادم منصوبًا لا تزال تسيل فوقهُ دماء الذبائح ويُحرق البخور العطر. وهذا المذبح كان مربّعًا طول الجانب منهُ في اسفله ٣٢ ذراعًا وعلوّهُ ١٥ ذراعًا

وكان الرومان يرون من وراء هذا المذبح واجهة الهيكل عرضها مئة ذراع في مثلها علوًّا. وكلها من الرخام الغالي الثمن عليها صفائح الذهب. فذاك الباب كان لا يدخلهُ غير الكهنة. وكان لهذه الواجهة باب بلا رتاج. عرضهُ ٧٠ ذراعاً في علوّ ٢٥ ذراعاً يجتاز منهُ الكهنة الى رواق الهيكل. وكانوا يدخلون من الرواق الى المقدس بمدخل ثانٍ عرضهُ ٣٠ ذراعاً في ١٦ علوًّا كانت تزينهُ اغصان جفنةٍ من الذهب تتدلَّى منها عناقيد مثلها على طول قامة الانسان

امَّا المقدس ففيهِ كانت مائدة «خبز الوجوه» الذي يُعرض كلَّ يوم امام الربّ. وهناك كانت المنارة ذات السَّبع الشُّعَب من الذهب المصمت. ووراء المقدس كان ستر منسوج من الذهب والارجوان وهو الحجاب الذي كانت تتجلَّى من ورائهِ عظمة الله وفيهِ قدس الاقداس

فذاك كان الهيكل الاورشليميّ الذي راءهُ الرومان منتصبًا بازائهم كانهُ يسخر من قوَّتهم وجبروتهم. فان كانوا لا يتجاوزون حدودهُ وينتهكون حرمهُ فلا يمكنهم ان يملأوا نفوسهم بالانتصار التامّ

وكانوا يودُّون لو ابقوا هذا الاثر على هيئتهِ ومحاسنهِ لولا اضطرارهم الى محاربة اليهود. وكان زعماء اليهود اوَّل من انتهك حمى الهيكل وجعلوهُ مغارة للصوص بدلًا من مقام للصلاة. فانَّ العازر بن سمعان كان جعل الهيكل كثكنةٍ لجنوده. وبعد ذلك لمَّا كان يوم الفصح اضحى الهيكل كساحة حرب فانَّ جنود يوحنَّا الجشي باغتوا العازر وذويهِ وخلطوا دماءهم بدماء الذبائح الشرعيَّة وفي مساء بعض الايَّام التالية سمع اليهود في قدس الاقداس جلبةً ثمَّ اصواتًا تصرخ: «هلمَّ نخرج من هنا» ومنذ تلك الساعة تثاقلت عليهم يمين العليّ (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

تاريخ التمدُّن الاسلامي

تاليف جرجي زيدان منشئ الهلال (الجزء الثاني ١٩٠٣ ص ١٩٢)

سبق لنا وصف الجزء الاوَّل من هذا التاليف المهمّ والثناء على صاحبهِ الاديب

(المشرق ٥ : ٩١٠) وهذا القسم الثاني مداره على ثروة الدولة الاسلاميَّة في القرن الثالث للهجرة. وقد وجدنا ان المؤلف استند في هذا القسم على اصدق الرواة واوثق المصادر التي يحيل اليها في ذيل الكتاب كتواريخ الطبري وابن الاثير والمسعودي وابن عبد ربه وابن خلكان والمقريزيّ وغيرهم ممَّن اجمع العلماء على طول باعهم وصدق نقلهم. وقد سبك جناب الكاتب البارع كلامهم سبكاً محكماً واخرجهُ مخرجاً حسناً يروق المطالع درسهُ. وبالاجمال نرى انَّ هذا القسم افضل من الجزء السابق يدلُّ على بحث ادقّ وتنقيب اعظم وان كان لا يخلو من بعض الشوائب التي اشرنا اليها. فنثني على مساعي منشئ الهلال ونتمنَّى انهُ لا يدخر وسعهُ في تحسين ما بقي لهُ من الاجزاء ليكون تأليفهُ دستوراً يرجع اليه العلماء في درس التمدُّن الاسلامي

السّحر الحلال في شعر الدلّال

بقلم جناب الاديب قسطاكي افندي الحمصي (١٩٠٣ ص٤٤)

من جملة أُدباء الشهباء الذين اسعدنا الحظّ على الاجتماع بناديهم في حلب قبل سبع عشرة سنة الشاعر الفاضل والكاتب البارع جبرائيل الدلّال الذي اغتالتهُ المنيَّة سنة ١٨٩٢. وكان المرحوم من اسرةٍ معروفة في الشهباء بشرفها وكرم اخلاقها نشأ منذ صغره في حبّ الآداب والعلوم واتقن كثيراً منها وتنقَّل في كثير من البلاد وتقلَّب في عدَّة مناصب. وكان لهُ في الانشاء اليد الطولى وفي الشعر السهم الأعلى. وقد احبّ جناب صديقهِ ووطنيهِ الاديب قسطاكي افندي الحمصي بان يجمع في كرَّاسةٍ مع فصولٍ من ترجمتهِ نبذاً حسنة من نظمهِ يلوح منها ما طُبع عليهِ الفقيد من توقُّد الذهن وغزارة المادَّة وملكة الشعر نثبت منها هنا بعض الشذرات ليعرف القرَّاء سموَّ فضلهِ. لا زالت الشهباء تجود علينا بمثلهِ. فمن ذلك قصيدة مطوَّلة قالها في الحضرة السلطانية اوَّلها:

دام سعد السلطان عبد الحميد مستجداً بالنصر والتأييد
صاحب الشوكة القويّة والعزّ م الذي ليس فوقهُ من مزيد
ذو الجلال التي بها افتخر المد ح لصدق التعظيم والتمجيد
سبغ الانعمُ التي قد توالت وغدت كالاطواق في كلّ جيد
خلّد الله ملكهُ وغدت حسّادُ نعماهُ بجهدٍ جهيد

وحباهُ نصرًا عزيزًا وكان ال — نجح منهُ بقرب حبل الوريدِ

ولهُ من قصيدةٍ يرثي شقيقتهُ التي قضت نحبها دون الثلاثين فنُعيت اليهِ في الغربة :

يا ليت شعري والبلاد بعيدةٌ — هل تسمعين شقيقتي فانادي
أغريبة الاوطان هل من عودةٍ — تُرجى فذكرك لم يزل في النادي
حقُّ الطبيعة ان اكون مقدَّماً — فعلامَ قد اخلفتُ في الميعادِ
ما كان قطُّ البَيْن جال بخاطري — ابدًا وبُعدكِ لم يكن بمرادي
يا ليتهُ ابقاكِ لي واحلَّ بي — كيد العدى وشماتة الحسَّادِ

الى ان قال :

شطَّ المزارُ واصبح الاخوان بال — شهباء ذاك وذا بغرب بلادِ
لو كان يسمح ان يساومنا القضا — او يرتضي الكِ فدية من فادي
لفداكِ كلٌّ والنفوس نفائس — بالروح ليس بطارفٍ وتلادِ
اسفت قلوب اقاربٍ واباعدٍ — وبكت عيون احبَّةٍ واعادي
يا حسرتي ومصابنا تاريخهُ — عند الفراق تفتتُ الاكبادِ (١٨٨٥)

ومن فكاهاتهِ قولهُ في مزيّن :

يا ربَّ حلّاقٍ بَلَوني بهِ — اذاقني مُرَّ العذاب الاليمْ
شمالهُ كالطور ثقلًا وفي — يمينهِ موسى وخدّي الكليمْ

Un séjour à l'Ambassade de France à Constantinople

par la Baronne Durand de Fontmagne

Paris, Plon, in-8,1902, pp. 315

اقامتي في سفارة فرنسة في الاستانة العلية

لمَّا كان المسيو توفنيل (M^r Thouvenel) متوليًا شؤون السفارة الفرنسيَّة في الاستانة العلية من سنة ١٨٥٥ الى سنة ١٨٦٠ زارت عاصمة الممالك المحروسة احدى نسيباتهِ من اشراف فرنسة تُدعى البارونة دوران دي فونغاني واقامت سنتين في جوار السفير. فانتهزت تلك الفرصة لتصف حاضرة دولتنا العليَّة وآثارها القديمة والحديثة ورجالها العظام واحوال اهلها على اختلاف نِحَلهم في دينهم ودنياهم وافاضت في ذكر الصلات الولائية التي كانت تجمع بين فرنسة والباب العالي بعد ان كانت الدولتان اتَّحدتا في حرب القريم. وقد اثنت ايضًا على الاعمال الخيريَّة التى يقوم بها الرهبان والراهبات في دار السلام فيكسبون شكر كلّ البائسين. ومجمل القول انَّ هذا الكتاب كشاهد صادق على احوال الاستانة في ذلك العهد يمثّل امورها للعيان

Notice sur un Papyrus égypto-araméen
par M. J. Euting, *Paris, Klincksieck* 1903.

بابير مصريّ باللغة الآرامية

في مكتبة ستراسبورغ الامبراطوريّة كتابة آراميّة على البرديّ وجدت في الاقصر مع مخطوطات اخرى في سنتي ١٨٩٨ و ١٨٩٩. ولهذه الكتابة خطر كبير ليس فقط لقلّة ما يُعرف من المخطوطات الارامية المكتوبة على البرديّ بل ايضًا لأنّها تتضمّن تاريخًا يعرَف زمانها. الّا انّ هذه الكتابة يصعب قراءتها لعتقها وتلف بعض اقسامها فحاول المستشرق الشهير الاستاذ اوتنغ حلّ رموزها فبيّن انّ كاتبها احد عُمّال الفرس ارسلها الى المرزبان الحاكم على مصر باسم الملك داريوس الثاني المعروف بداريوس نوثوس وذلك سنة ٤١٠ او ٤١١ قبل المسيح. وقد الحق المؤلّف بمقالته هذه المستحسنة صورة الكتابة التي طولها في الاصل ٦٣ سنتيمترًا في ٧ س عرضًا. وممّا يستحقّ الذكر انّ لغة هذه الكتابة تشبه كثيرًا آراميّة بعض الكتب المقدّسة كاسفار دانيال وطوبيا ويهوديت وتساعد على درس لغة ذلك العصر

ميمر

في تحقيق ناموس موسى والانجيل الطاهر وتحقيق الارثذكسيّة

للمعلم العامل والاب الفاضل كيرثاودورس اسقف حرّان

هو الميمر الذي عُني بنشره حضرة الخوري الفاضل قسطنطين باشا احد رهبان دير المخلّص الباسيليين في اعداد المشرق السابقة وقد احبّ حضرتهُ طبعهُ على حدةٍ لتعمّ به الفائدة. ولمّا كان القرّاء قد عرفوا ما لهذا الميمر من عظم الشأن فضلًا عن كونهِ من اجلّ الآثار المسيحيّة القديمة لا نطيل الشرح في وصفهِ. وانّما نحضّ الجمهور على اقتنائهِ والاقتباس من فوائدهِ

هدايا أُرسلت الى ادارة مجلّة المشرق

١ الدين والعلم والمال : المدن الثلاث تأليف فرح افندي انطون منشئ مجلّة الجامعة

٢ برنامج الجمعيّة الخيريّة للارمن الكاثوليك لسنة ١٩٠٢ — ١٩٠٣

٣ طريق الهند المستقبلة مقالة افرنسية لحضرة الاب هنري لامنس

La future route des Indes, *par le P. H. Lammens S. J.*

٤ روايتان عاميّتان لامم آسية الوسطى نشرها بالالمانية الاستاذ البارع مارتين هرتمان

M. Hartmann : Mesreb der weise Narr und fromme Ketzer.

شَذَرَاتٌ

دير القديس مارون في جريدة الروضة (١٩ ايلول) نظر في بحثنا الجغرافي عن موقع دير القديس مارون الذي ادرجناهُ في المشرق وقد وجدنا هذا النظر قاصرًا في عدَّة امور لا يسلّم بصحَّتها اصحاب النقد . مثال ذلك قول صاحبهِ (في الصفحة الثانية العمود السادس) ان « انسطاس الملك كان حمويّ الاصل ». مع انَّ المؤرّخين قد اجمعوا على انَّهُ ولد في ديراكيوم شمالي غربيّ بلاد اليونان . ومنها قولهُ (فيها) ان دير القديس سمعان الذي ذهب اليهِ رهبان القديس مارون يوم استشهادهم كان « في الجبل العجيب » والصواب انَّ هذا الدير كان في جبل سمعان غربي حلب قريبًا منها . امَّا جبل عجيب فهو جبل آخر بعيد عنهُ من جهة الاسكندرونة وهو الذي يدعوهُ العرب جبل اللكَّام ويعرف عند القدماء باسم « امانوس ». ومنها ايضًا قولهُ (فيها) انَّ دير القديس مارون « كان اقرب الى انطاكية من حماة ». فانَّنا ولو سلَّمنا بقول حضرة الكاتب انَّ هذا الدير كان بين حمص وحماة (وهو زعم ينافي صحَّة الواقع) لما استفاد شيئًا لبيان قولهِ لانَّ المسافة بين حمص وحماة قريبة تُقطع بيوم واحد امَّا المسافة بينهما وبين انطاكية فلا تقلّ عن خمسة او ستَّة ايَّام . ولنا ملاحظات اخرى لكنَّنا نكتفي بهذه ليرى القرَّاء ما في حجج الكاتب من القوَّة ه . ل

قرَّاء المكتبة العموميَّة في باريس دخل في السنة ١٩٠٢ مكتبة باريس لمطالعة مطبوعاتها ١٥٥,٥٣٣ قارئًا طالعوا ٥٤٠,٤١٦ تأليفًا . امَّا المخطوطات فقد طالع القراء منها ٥٧,٠١٤ هذا فضلًا عن غرفة السجلَّات والختوم حيث اشتغل ٧١٥٨ رجلًا بموادّ تبلغ ٥٤,٥٣١ عددًا

اغزر البلاد مطرًا قد تحقَّق اصحاب الآثار الجوّيَّة انَّ اوفر البلاد مطرًا اميركة الجنوبيَّة فان مقياس مطرها يبلغ مترًا و ٦٧٠ ملمترًا ويليها افريقية فان معدَّل الامطار فيها ٨٢٥ ملمترًا . ثم اميركة الشماليَّة ومطرها ٧٣٠ ملمترًا .

ثم اوربّة ٧٢٠ ملمترًا. ثم آسيّة ٥٥٣م. ثم استرالية ٥٦٠ م. ويعلم القرّاء انَّ معدَّل المطر في بيروت ٩١٠ ملمترات. ومجمل ما يهطل من المطر في العالم باجمعهِ ١٢٢,٠٠٠,٠٠٠ متر مكعَّب يجري منها الى البحور ٥٢,٠٠٠,٠٠٠ فقط

التجليد بجلد الضفادع يتَّخذ بعض المجلدين في الهند جلد الضفادع لتجليد الكتب وهم يستحضرونها لذلك استحضارًا خصوصيًا ويصبغونها باصباغ جميلة ثم يجلدون بها الكتب النفيسة

الكَلَب في باريس وضواحيها منذ أُنشئ مكتب باستور في باريس قد خفَّ الكَلَب في تلك العاصمة وضواحيها سنة بعد سنة حتى يؤمل تلاشي هذا الداء العياء قريبًا. فان في ايالة السين التي ضمنها باريس كان عدد المصابين بداء الكلب سنة ١٩٠١ : ١٣٢١ شخصًا مات منهم بعد العلاج ١٢ شخصًا وكان عدد الكلاب الكابة ٨٤٦. امَّا السنة المنصرمة فسقط عدد الكلبي الى ١٠١٦ مات منهم ثلاثة فقط وكذلك الكلاب الكلبة فانَّ عددها قلَّ فلم يتجاوز ٤٧٤

جثَّة صحيحة للمَمُّوث وجدت في ولاية يركوسك من اعمال سيبريا جثة صحيحة من المَمُّوث وهو حيوان مفقود منذ اعصار قديمة والجثة كانت غائصة في الثلج المتجلّد فنُزعت بعد تعب عظيم ونُقلت الى بطرسبرج حيث عُرضت في متحف العلوم الطبيعيَّة. والمَمُّوث حيوان على شكل الفيل الَّا انهُ اكبر منهُ. والحيوان المكتشف طولهُ ثلاثة امتار في علوّ مترين وثقلهُ زهاء الف كيلوغرام

التمساح في فلسطين روت جميَّة الجلَّة الفلسطينيَّة الالمانيَّة انَّ العرب المخيّمين في الزور قريبًا من قيساريَّة قتلوا في نهر الزرقاء تمساحًا باعوا جلدهُ المقيمين في حيفا ليصبّروهُ. وهو اكتشاف مهمّ لتاريخ الحيوان في فلسطين

أسئلة وأجوبة

س سألنا حضرة الاخ بيبوزيت ڤالنتان من الاسكندريَّة ما قولنا في مقالة كتبها المقطَّم تحت عنوان « قديس روسي جديد »

قديس روسيّ جديد

ج قد اطلعنا على هذه المقالة وعلى ما كتبتهُ الصحف الاوربيَّة في هذا الصدد

الا أننا لم نجد ديوانًا شرعيًا عُقد لفحص المعجزات المنقولة عن هذا القديس كما تفعل الكنيسة الرومانيَّة في تثبيت قديسيها. ومن ثمَّ لا نرى سندًا كافيًا لتصديق ما تناقلته الالسنة

س وسألنا احد كهنة الروم الكاثوليك الافاضل عن اصل صورة العذراء التي تُكرَّم في كنيسة القديس الفنس دي ليغوري في رومية العظمى

صورة العذراء المصونة في كنيسة القديس الفنس دي ليغوري في رومية العظمى

ج هذه الصورة تمثّل العذراء مريم مع ابنها الالهي في حجرها وعلى رأس البتول نجمة ومن على جانبيها ملاكان وتُعرف الصورة بسيّدة المعونة الدائمة تشبه بعض الشبه الصورة المنسوبة الى القديس لوقا . امَّا اصلهـا فالمظنون انها صورة قديمة نقلت من القسطنطينيَّة في اواسط القرن الخامس عشر وجُعلت في كنيسة على جبـل اسكيلين حيث يتوارد المؤمنون لاكرامها والتبرّك بشفاعتها وقد تعدَّدت المعجزات التي جرت على يدها. وفي سنة ١٨٦٧ امر البابا بيوس التاسع بتويجهـا وقد انشأ رهبان القديس المعروفون بالفدائيين شركة على اسمها اغناها الاحبار الرومانيُّون بغفارين عديدة

س وكتب جناب الفاضل اغوب فرحيان مثنيًا على كتاب سيادة المطران الجليل جرمانوس معقّد المنون برحلة الفيلسوف الروماني. ثمَّ سألنا عن امرٍ اشتبه عليهِ في هـذا الكتاب وهو ما قال سيادة المؤلف في الصفحة ٢٧٦ عن مريم العذراء انَّها خرجت مع اخوة يسوع (اي انسبائهِ) وذويهِ ليمسكوهُ مدَّعين انَّهُ شارد العقـل. قال السائل: « كيف امكن العذراء ان ترافق هؤلاء في ظلم الذميم وهي تعرف مقام ابنها »

مشكل كتابي

ج اشار سيادتهُ الى قول مرقس في العدد ٢١ من الفصل الثالث ثم الى العدد ٣٢ منهُ فجمع بين آيات العددين كأنَّ الكلام الوارد في العـدد ٣٢ تتمَّة للرواية التي وردت في العدد ٢١. ومفسّرو الاناجيل المقدَّسة يرتأون خلاف ذلك وهو أنَّ الكلام على واقعتين مختلفتين زمنًا فالاوَّل يشمل « ذويه » وفي اليونانيَّة (οἱ παρ' αὐτοῦ) يراد بهم بعض معارفهِ واقربائه الذين كما قال يوحنا « لم يكونوا بعد يؤمنون بهِ » . امَّا الواقع الثاني الذي ورد ذكرهُ في مرقس (١٣ : ٣٢) وفي متَّى (١٢ : ٤٦) ولوقا (٨ : ١٩) فانهُ جرى بعد ذلك بمدَّة وقد ورد فيـهِ لا في الاوَّل ذكر « امهِ واخوتهِ » الذين جاءُوا لينظروهُ فقط لا ليمسكوهُ كما اراد الاولون . ومن ثم لا حرج على البتول الطاهرة ل . ش